آدم وحواء

هل كان إبليس من الملائكة...؟

تكريم رباني شريف منحه ربنا تبارك وتعالى لسيدنا آدم عليه السلام، خلقه بيده وأسجد له الملائكة... فسجدوا تحيةً وإجلالاً لما سوَّاه رب العزة بيده، إلا إبليس لم يسجد وتجرأ على عصيان الأمر، وقبل أن نذكر سبب جرأته، هناك سؤال يطرح نفسه: هل إبليس من الملائكة؟!

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فهذا يشعرنا أنه منهم... لا، ليس منهم، لقد أجمع العلماء أن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين... إنما هو من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض فأفسدوا فيها، فسلط رب العزة عليهم الملائكة فأخرجتهم إلى الجزر والجحور. وكان من بينهم من هو طائع وعابد لله لا يقع فيما يفعله الجن من سفك الدماء والإفساد... وهو إبليس، فأخذته الملائكة إلى السماء، فلم يترك فيها موضعاً إلا وسجد فيه... ولكن...

لم تسلم نفس إبليس من عيب خطير مهلك يعلمه ربنا تبارك وتعالى منه، والملائكة مبرأة من أي عيب... وأقوى دليل على أنه ليس من الملائكة قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ وليس هذا من طبع الملائكة.

كان في استطاعة رب العزة أن يخلق سيدنا آدم بـ(كن) فيكون... ولكنْ سوَّاه بيده... وهذا تشريف لم يستطع ابليس أن ينال منه بعصيانه لأمر ربه... ولذلك لا يستطيع مخلوق أن ينال من كرامة ابن آدم... ولكن الإنسان نفسه هو الذي ينال من كرامته بمعصية مولاه... كما أهان ابليس نفسه برفض السجود فاستحق الطرد واللعن...

لماذا إذاً أمر بالسجود...؟!

إن الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود لآدم ولم يأمر الجن... فلماذا يعاقب إبليس على ما لم يؤمر به؟!... والسبب أنه كان يعيش بين الملائكة فشمله الأمر معهم، ولذلك عندما سأله رب العزة: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]، لم يقل إبليس: يا رب لم تأمرني. وإنما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ إذن لم يعترض أن الأمر يشمله. ويوضح ذلك قول الله تبارك وتعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.

أرأيت سلوك الملائكة في كمال الطاعة لرب العالمين... استجابة لا تعرف التردد أو التأخر لمجرد التفكير في الأمر... ﴿فَسَجَدُوا﴾ لم يظهروا اعتراضاً ومن بعده استجابة... ان أطعت أمر ربك من غير شك أو تردد ما دمت قادراً فلن تكون مثل الملائكة، بل أفضل عند الله من الملائكة، فيباهي الله بك تلك المخلوقات النورانية التي طبعت على البراءة من المعصية والغفلة...

فاحذرهما واحذر كل ما يربطك بسبب الى الشيطان... وان وقعت في شيء منه فلا تصر عليه... ومعك ما يربطك الى الله بسبب أكبر... نفخة الهية هي سر وجودك

إبليس أم شيطان...؟

هذا العاصي الأول أحياناً يسميه القرآن: إبليس، وأحياناً يطلق عليه: الشيطان... فهل الاسمان له؟ وهل هما بمعنى واحد؟

اسمه الأصلي قبل المعصية: إبليس. أما الشيطان في اللغة العربية فأصلها: شطن، أي ابتعد. وإبليس فسق عن أمر الله، فابتعد عن طاعته وعن أهل طاعته، ابتعد عن التوبة، ابتعد عن عفو الله، ابتعد عن الجنة، ولشدة بعده سمي: شيطاناً. فاسمه: إبليس وصفته: الشيطان.

ومن الناس من يبتعد عن طاعة الله فيسمى: عاصياً أو فاسقاً أو جاحداً أو كافراً بحسب ما يقع فيه من إثم.

ولذلك أوصيك: ان ابتعدت عن الطاعة فلا تبتعد عن التوبة، وان اقترب منك أهل السوء فلا تنقطع عن أهل الخير، وان حاصرك الشيطان بكيده فمعك من الله

حافظ وبابه مفتوح ليل نهار، عفوه اليك أسرع من العقوبة، وهو اقرب اليك من سبب حياتك... فالزم حبيبك ومولاك.

ما الفرق بينهما...؟!

أمر يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا، وهو أن كل شيطان من الجن، وليس كل جن من الشياطين بمعنى: أن الجن الفاسق الكافر يسمى: شيطاناً، فالشياطين: هم العصاة من الجن، ومنهم الطائع المؤمن فلا يوصف بهذه الصفة.

حروف ثلاثة... ولكن...

إن العيب الخطير المهلك الذي كان في نفس إبليس وأدى إلى طرده ولعنه يتجسَّد في حروف ثلاثة لكلمة صغيرة «أنا» وليس الشأن في صغرها، وإنما فيما تحمله من دلالة على مرض قلب صاحبها بالكبر والاستعلاء وعظم النفس والعُجْب بها، رفض السجود، فقال له ربـــه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: 12، 13]. ومن سورة صّ يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [صّ: 75، 76]، بـــهـــذه الصفة أصبح أسوأ اثنين في الوجود هما: إبليس وفرعون. الأول بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ والآخر بقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾. تخيل أن سبب الضياع والهلاك يبدأ بكلمة... وكلما تضخمت كلمة (أنا) في حياة إنسان كلما نال من هذه الصفة الشيطانية.

فاحذر هذه الكلمة ومدلولها في حياتك وفي صلتك بالله والناس... البعض يقول: أنا غير مقتنعة بالحجاب... أنا لا أزور الا من يزورني.. أنا أحسن من غيري... أنا... أنا... أنا، وكان له عقلاً يستحق النظر في أمر الله، وله نفساً فوق التكليف والأمر والنهي... ان الطريق الى الله يبدأ بخطوة تفارق فيها نفسك والشعور بمذاقها والمغالاة بسعرها.

مرض خطير

بأي حق يرفع الإنسان سعره وليس له من الأمر شيء، إن من هذا الموقف عبرة هامة ليتها تكون لنا برهاناً من حياتنا.

- إن أول ذنب عُصي به رب العزة هو الكبر... فهل عندك منه شيء. لا تنس هذا السؤال أبداً؛ لأن عاقبته وخيمة... يكفي حرمان صاحبه من الجنة... وما يذكر الكبر والمتكبرون في القرآن إلا ومعهم جهنم.

فماذا قال ربنا تبارك وتعالى للمتكبر الأول: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ فكان الجزاء من جنس العمل.

- طرد من الجنة وإبعاد من الرحمة، فهذا المكان لا يصلح له المتكبرون.

- حكم بالصَغار والذل لكل من تعالى على الحق، ورفض أمر مولاه.

يقول النبي ﷺ لكل متكبر: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[1].
وأخبر عن رب العزة قوله: «**الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم**» حديث صحيح رواه ابن ماجه[2].

قد تسلب انساناً حقاً من حقوقه، وهو ليس لك، وهذا اثم عظيم... وهذا الثوب ليس لك، انه للقادر على العطاء والمنع... انه لخالق الحياة والموت... انه لرب العزة والجبروت... فما يكون حجم جرمك وانت تنازع ثوباً لرب العزة... أليست هذه جراة شيطانية لم يملك ابليس لنفسه بعدها الا الذل والهوان... ان عدم التعالي ليس فضلاً منك، بل هو اعتراف بالحق... ومن رحمة مولاك أن جعل هذا الاعتراف عبادة ترفعك في مصاف الملائكة؛ لأنك صدقت في التعامل مع نفسك، فالربح مضمون في الدنيا والآخرة وما بينهما.

صور خمسة لهذا المرض...

الأمر هام وخطير ولذلك يجب على كل واحد منا أن يفتش في نفسه ليعرف إن كان بها أحد أشكال الكبر يقع فيه بقصد، أو بغير قصد... لأن العقوبة مؤلمة:

* الذل والصَّغار في الدنيا.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 147)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4091)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1998)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4173).
(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4175).

* جهنم والطرد من الرحمة في الآخرة.

ولتسهيل الأمر أعرض عليك خمسة أنواع لأشكال الكبر... وما عليك إلا أن تعرض نفسك عليها واحداً واحداً لتصل إلى نتيجة تبصر بها طريقك.

أولاً: ظلم الناس واحتقارهم

احتقار الناس والشعور بأنهم طبقة دنيا والتقليل من شأنهم بصورة تدفع إلى سهولة ظلمهم بالوقوع في أعراضهم أو تسفيه عقولهم.

- قد تفعل ذلك المرأة مع خادمتها في المنزل.

- قد يفعل ذلك الرجل مع مرؤوسيه في العمل.

- قد يفعل ذلك الشاب أو الشابة في الجامعة مع من هم أقل منهم ذكاءً.

- قد يفعل ذلك الغني مع من هم دونه في المستوى الاجتماعي أو مع الضعفاء والمساكين.

يقول النبي ﷺ في أمثال هؤلاء فيما يرويه الترمذي[1]: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر على صورة الناس يغشاهم الذل... يدوسهم الناس بأقدامهم»**... فهل أنت منهم...؟!

ثانياً: الاختيال في المشية...

قد يعجب المرء بجماله وثيابه ويريد أن يعبر عن هذا في طريقه بأن يمشي مختالاً ليجذب أنظار الناس إليه فتشاركه إعجابه، ليرى أنه فوقهم وهم دونه.

- الفتاة تتباهى بجمالها وثيابها.

- الفتى يتبختر ببدلته وأناقته.

وليس هذا يعني أن الواحد منا يلبس الرديء من الثياب، يقول النبي ﷺ: **«إن الله**

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2492).

جميل يحب الجمال»[1]. تستطيع أن ترتدي أحسن ثياب الدنيا، ولكن من غير كبر. روى البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بينما رجل يتبختر في مشيته، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»[2].

ثالثاً: عدم قبول النصح

رفض النصيحة وعدم الرجوع إلى الحق بعد ظهوره لك ضرب من الكبر.

- ينصحك أهلك بالابتعاد عن رفقاء السوء.

- ينصحك صديقك بالصلاة... تنصحك زوجتك بتقوى الله.

- تنصحكِ صديقتك بالحجاب.

فرفض النصيحة والتكبر عليها إثم عظيم... قد تقول: أعرف أن هذا حق ولكن لا أفعله لأنه أتى من فلان... والحق أكبر منا جميعاً. يقول رب العزة من هذا الصنف: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: 206].

رابعاً: محبة خضوع الناس بين يديك

تحب الناس كلما رَأَوْكَ مشوا وراءك ونهضوا وقوفاً لحضورك، وتوسلوا إليك، وإلا أظهرت لهم العداوة والبغضاء.

- بعض الناس يحب أن يرى دائماً دموع زوجته وإذلالها أمامه ويسعد بانكسارها.

- وبعضهم يحب أن يرى من عيون الناس الرهبة منه، يزكُّونه إذا حضر ويلبونه إذا دعا ويطيعونه إذا أمر... يقول النبي ﷺ: «**من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار**» رواه أبو داود[3].

---

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 261)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 1999)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 133).

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 5789).

(3) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 5228).

خامساً: ترك الصلاة والدعاء.

هل فينا من يستطيع الاستغناء عن ربه؟! فأين يذهب...؟! هل منا من يدّعي أنه يدبر أمره وليس من حاجة إلى مولاه..؟! لا أظن ذلك.

ولذلك كان ترك الصلاة والدعاء نوعاً من الكبر.

- إنسان يخاف على ثيابه من السجود، أو على رأسه من الذل لمولاه.

- إنسان يقول لست في حاجة إلى الدعاء، عندي من العلم ما يكفيني.

والصلاة أفضل الصّلات بينك وبين الله، والدعاء عبادة تظهر فيها حاجتك لمولاك. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: 60].

قد تكون عبادتك قليلة مقصورة على الفرائض ولكن الشعور بالخضوع والذل لله يسبق بك كثيراً من العُبّاد. توهم ابليس انه افضل من سيّدنا آدم فرده الله الى قدره وحكم عليه بالذل... وكل شيء يخدعك عن حقيقة نفسك انما هو وهم يصيب القلب بخبث... والله تعالى طيب لا يقبل الا الطيب، والجنة طيبة لا يدخلها الا الطيب.

وكان نتيجة الكبر...

إن الكبر جعل إبليس يفكر بحمق... نظر إلى النار والطين فوجد أن النار أفضل وأعماه كبره، إن طاعة الله أكبر من كل اعتبار، فالملائكة سجدت وقد خلقها الله من النور.

قال إبليس: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ كيف يسجد الأعلى للأدنى؟! فمن وجهة نظره: أن النار أقوى وأعلى من الطين. وهذا غباء منه في التفكير أوقعه فيه مرضه بالاستعلاء والتكبر. وقد يظن البعض أن الحق معه. وليس الأمر كذلك.

وهذا هو الدليل...

إن من طبع النار الحرق والإفساد، ومن طبع الطين الخير والنماء، والله يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

لذلك لا تقل: إن إبليس على صواب ولكن كان عليه طاعة الأمر؛ لأنه أخطأ بالمعصية وأخطأ في منطقه وتفكيره. فالطين: طبيعته السكون والثبات، والنار طبيعتها الحدة والطيش... وإن كان فيها نفع ففيها الشر أيضاً وكلنا يخافها؛ لأنها قد تسبب الكوارث أحياناً، أما الطين فليس فيه إلا الخير. وإبليس أعماه كبره عن القياس الصحيح والتفكير السليم.

والآن يصل طريق بإنسان مشى فيه بعمى البصيرة...؟ يعيش وهو لا يعترف لغيره بالفضل، ولا ينزلهم منازلهم... ويتكبر أن يذكرهم بالقابهم العلمية ان كانت لهم ألقاب... ولا يرى لعالم فضل علم... الى أين يصل به طريق كل اشاراته التي توجهه فيه بطر الحق وغمط الناس؟!... أليس الى جهنم؟!

وجهة نظر خاطئة...

البعض يرى أن له نظراً في أمر من أوامر الله تبارك وتعالى، ويتأوله الشيطان له حتى يقنعه به. فيُكوى بناره في نهاية الأمر.

البعض يقول: إن منع الفتيان عن الفتيات يخلق نوعاً من الكبت النفسي يجعل كلا منهما مشتاقاً إلى الآخر بدافع من الفضول وحب التجربة. ولذلك يجب أن تتركهم يختلطوا ببعضهم لتستقر النفوس ولا تسعى وراء الشهوات.

وفي هذا الكلام رائحة إبليس... إن الغرب فعل ما يقوله هؤلاء فما جنى منه إلا انتشار الشهوات الرخيصة حتى ملُّوها فلجؤوا بعد ذلك إلى الشذوذ.

ولذلك قيّد الإسلام علاقة الرجل بالمرأة عن طريق الزواج، ولا يجوز غيره ليفضي الرجل إلى المرأة وتفضي إليه... ومن هذا استمرار للحياة النقية قبل وبعد الزواج، وحفظ للأعراض وصيانة لكرامة المرأة أن ينالها كل من أراد.

ان تعطيل أمر من أوامر الله يفسد على الإنسان حياته... ومجرد الشعور بأنك بعقلك القاصر تستطيع أن تأخذ وتترك من دين الله كما ترى وكما يصلو لك، فهذا ضياع للآخرة مع الدنيا بدخول جهنم، أما الذي يسلِّم لأمر الله فيقول رب العزة فيه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

الفهم العميق...!!

إن حقائق الإيمان وحدها لا تكفي وإنما يجب العمل بمقتضى هذا الإيمان. وإبليس لم يكن كافراً بالله، بل إنه لم يجرؤ أن يقول كلمة فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾. إنه يعرف أن الله هو الخالق، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12].

ويقسم بعزته. قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. ويؤمن بقدرة الله على الإحياء كما يؤمن بيوم القيامة. فقال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. فهل نفعه إيمانه عندما رفض أمر ربه؟! كلا لم ينفعه.

- قد تسمع من يقول: أنا أؤمن بالله... أنا أفضل من غيري. ثم تسأله: هل تصلي؟ فيقول لك: بصراحة لا. ولكني أعرف أن الله هو الخالق الرازق.

- وما الإيمان؟ أليس هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل؟ لا فرق بين الإيمان والعمل به، ودائماً يذكرهما القرآن معاً: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الرعد: 29].

- وصاحب الخلق هو صاحب الأمر، والإيمان به من الأولى يقتضي طاعته في الثانية والله يقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

- إن عنوان ديننا: «الإسلام» والذي يدين به اسمه: «مسلم». أي يترك الأمر كله لله، يسلّم له من الأمر والنهي ويطيعه فيهما من غير تردد أو نظر ما دام قادراً على ذلك.

قد تقع في ذنب وأنت تعرف أنه حرام وأنم وتتمنّى التوبة منه، ومعرفة الخطأ وتمني البراءة منه بداية الخير... أما المصر على الذنب ويدّعي اباحته... ويتباهى به ويقول: لن أتركه. فقد وقع في مشكلة ابليس الأولى التي أودت به وأدت الى طرده وابعاده.

إعلان هام...

إن إبليس لم يكتف برفض السجود لآدم بل أعلن الحرب عليه، ووضع لنفسه أهدافها وخطتها ووسائل الهجوم فيها... لذلك فهو عدو لنا... فهيا نعلن عداوتنا له كما أمرنا ربنا: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦﴾. [فاطر: 6] هذا عهد إلينا.

إن إبليس أخذ على نفسه عهداً ولا نجاة منه إلا بأن نتمسك بعهد الله إلينا. قال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 14 ـ 17]، لقد عرض لنا القرآن عصيانه وشرع حربه كما رسمها صاحبها، فصارت نية العدو لنا مكشوفة وكيده معروفاً. فالذي يخسر المعركة بعد ذلك... ألا يستحق...؟!

ان الله ﷻ عادى ابليس من أجلنا وطرده ولعنه من أجلنا وكشف لنا عداوه وحربه بعدما كرمنا بالخلق والنفخ. أيكون الجزاء أن نترك مولانا وخالقنا ونوقّع مع عدونا عقد المصالحة ليدخلنا جهنم... ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

جزاء المتكبر...

قال رب العزة لإبليس: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13]. والصغار عكس الكبر. وكأن الآية تحذر كل متكبر من الذل في الدنيا، والوطء بالأقدام يوم القيامة.

وهل هناك أذل من انسان يدوسه الناس باقدامهم... وليس ذلك لأهل شارع أو مدينة... وانما يدوسه أهل المحشر... فيحشر تحت أقدام البشر كلهم... ومن يرضى هذا لنفسه؟!

كراهية لا حد لها...

تستطيع أن تدرك حجم كراهية إبليس لآدم من خلال طلبه لمدة العداوة، لم يكتف بحياة سيدنا آدم أوحياة الجيل الذي يأتي بعده، وإنما قال لرب العزة: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. طلب أن يمتد عمره بعمر ذريته إلى يوم القيامة. ليفرغ مع كل واحد من ذريته حقده وعداوته.

أرأيت ماذا يفعل الحقد والكراهية بصاحبهما، لا يهدأ له بال ولا يستقر له مقام... لو كان هناك حياة للدنيا بعد القيامة لطلبها ابليس... حقاً ان الكبر أصل الشرور... يُعمي البصيرة، ويجعل الحقد والبغض يتحكم في تصرفات صاحبه... فلم يكن له دواء الا جهنم.

كنز الأمل...

فسق إبليس عن أمره فاستحق الرجم والطرد، ودعا الله بطول البقاء فقال رب العزة له: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15]. فاستجاب دعاءه وهو شر الخلق. أفلا يستجيب ربنا تبارك وتعالى لك أيها العبد العائد إلى مولاه؟! يقول أحد التابعين: لا يغرنك ما فيك من العيوب والمفاسد، فإن الله استجاب لشر من خلق وهو إبليس.

مهما كان حالك أيها المسلم لا تيأس أبداً من روح اللّه وعفوه، فلا ذنب يخرجك من رحمته الا الكفر... انك أطعت اللّه في أحب الأشياء اليه وهو الإيمان به... وأطعته في أبغض الأشياء اليه فلم تكفر به... فادع اللّه أن يغفر لك ما بينهما... وعندما أخبر ابليس أنه سيأتينا من كل مكان... من الأمام والخلف وعن اليمين والشمائل، لم يقل: ومن فوقهم... فلا يستطيع أبداً أن يحول بينك وبين ربك... فارفع حاجتك اليه فتلك جهة طريقها آمن... وإذا كان أول أمرك طاعة وآخره توبة فليس للذنب بينهما مكان.

صدقت يا ابن عباس...

رسم إبليس منهجه من الضلالة فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]... وانتبه هنا إلى أمر خطير وهو سوء الأدب مع الله. يقول: يا رب، أنت أضللتني.

- البعض يقول: إن شاء الله وعندما يريد سأصلي وأرتدي الحجاب.

- ومنهم من يقول: كنت أريد الاستقامة، ولكن الله هو الذي جعلني في وسط شلة الضياع.

مثل هذه الظلمات لمحة من لمحات إبليس، وكأن الله هو الذي كتب المعصية على عباده وأجبرهم عليها... ولذلك يقول رب العزة بعد أن عرض قصة آدم وإبليس في سورة الأعراف: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: 28 - 30].

يقول إبليس:

- سأجلس في طريق من يذهب إلى المسجد، وفي طريق من تريد الحجاب، وفي طريق من يصل رحمه، وفي طريق كل من يبادر إلى الخير ولو بالنية... ولا يعبأ إبليس بأصحاب البارات فقد كفوه حربهم.

يقول عبد الله بن عباس: جاء إليّ رجل يقول: زعم اليهود أنهم لا يوسوس لهم في صلاتهم. فقال له: صحيح، وماذا يفعل الشيطان بالبيت الخَرِب.

إن الشيطان رفع لواءه ضد الطائعين، وكلما ازداد العبد هداية زادت حرب الشيطان له... هذه هي طبيعة المعركة هل ستصمد أم تضعف؟!

ولذلك يحتاج المسلم أن يرفع أمامه لواء المجاهدة، وشعاره: طاعة، وتوبة... مجاهدة الطاعة بالنية والعمل والصبر عليها. ومجاهدة المعصية بتركها والتوبة من فعلها... وكيد الشيطان ضعيف... ومع ذلك لا يتركك حتى تضع قدميك في الجنة.

حذار منها...

ذكر الشيطان أربع جهات يحاول النفاذ منها إلى ابن آدم وهي في قوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: 17] وترك جهتين؛ لأنه لا يستطيع الدخول للعبد منهما، وهما: فوقهم، وتحتهم. ثم قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾.

انظر... القرآن يعرض لك وسائل الشيطان ومداخله... ثم يعرض عليك الوسائل التي تكون بها أكثر شكراً لله.

فما عمل الشيطان لتحذر من جهاته؟!

- انه يُنسيك ربك، ويُنسيك نعمه لتجحد شكرها... هذا عمله من الجهات الأربع.

وسائلك لرد كيده:

كن دائماً متذكراً لنعم الله عليك، فإن تذكُّر النعمة يرقق القلب. يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]. وهذا دائماً يحرك في القلب حب وليّ النعمة.

. دائماً اهتم بهاتين الجهتين: جهة السجود، وجهة الدعاء... فهما مهبط الرحمات ولا يجرؤ ابليس على الاقتراب اليك منهما.

الخسران المبين...

اقرأ معي قول الله في سورة النساء بتدبر... وهيا نتأمل الواقع سوياً، ونقارنه بقول إبليس في هذه الآيات يقول تبارك وتعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء 117 ـ 119].

هل تدرك مدى الكراهية والحقد؟. يقول:

سأهلكهم بالأماني الكاذبة وآمرهم بالفحشاء تحت مسمى الزواج العرفي... انتبه... يغرر الشيطان بالفتاة فتقبل الارتباط بشاب بهذه الصورة، وبعد ذلك يكرهها ويرغب في الزواج من أخرى زواجاً صحيحاً... ويضيع كل شيء بعد ذلك.

يقول إبليس: سأدفعهم إلى الضلال والكبائر... من لا يسيء إلى أبويه في المعاملة، أغريه بترك الدرس والتحصيل... ولماذا تذاكر دروسك... أنت ذكي وتستطيع في آخر شهر تحصيل كل شيء... وبعد ذلك يرسب المسكين ويُكْوى الأبوان بنار هذا الرسوب... فلماذا تبخل عليهما بفرحة النجاح؟! أليس هذا عقوقاً؟! إن الله حرم على الأبناء كلمة: «أف» وهي أقل ما يدل على الضيق والضجر... وهذه الكلمة لا تقال باللسان فقط، وإنما يترجمها بعض الأفعال... وإهمال المذاكرة لا يساوي كلمة «أف» فقط... بل يفوقها بكثير... إنه يساوي كلمة «تُف» فهل تجرؤ عليها... وهل هما يستحقان ذلك منك؟

ويقول: الحجاب فرض ولكن لا داعي منه الآن؛ لأنك ستخلعينه في الفرح لإظهار جمالك وليتحدث بفرحك الناس فليكن ارتداء الحجاب من بعد الزواج... وفي النهاية فرح سيء يرتع فيه الشياطين، وصدق رب العزة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 81].

يقول: سأجعلهم يغيرون خلق الله، سأجعل الشباب يحلقون بعض رأسهم ويتركون

بعضه ويضعون الأقراط في أنوفهم... سأحاربهم في كل ميدان: في الشكل، وفي المضمون، وفي الأخلاق، وفي المعاملات، وفي الأسرة،....

واليك التعليق الرباني على من يصاحب الشيطان في هذه المجالات لتعرف نتيجة العداوة التي تفغل عنها: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: 119 ـ 121].

ثُرى... هل نجح...؟!

لقد ذكرت وسائل معركة الشيطان في أكثر من سورة من القرآن... وتختلف اللهجة من سورة لأخرى، ولكن كلها تتفق على أن في هذا المخلوق غِلٌّ وحقد يكفي لضياع البشرية كلها لو أطاعته.

اسمع قول الله في سورة الإسراء على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62].

هل أحسست بالكراهية وسوء الأدب، هل شعرت بالحقد في حروف ومعاني هذه الكلمة «لأحتنكنّ» إنها مؤكدة بلام قسم ونون توكيد ثقيلة إن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة «حنك» أي «فم»... إنه يقول: سأضع لجاماً في أفواههم كالبهائم.

ـ بعضنا لا يقرأ القرآن... وإن أمسك بالمصحف يشعر أن التلاوة ثقيلة عليه، والله ﷻ يسّر القرآن للذكر... ولكنه لجام الشيطان في الأفواه... وقال إبليس: لن يفوتني منهم أحد إلا القليل... فهل نجح في ذلك معك؟

فقال رب العزة له: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: 63، 64].

إن كلمة ﴿ٱذْهَبْ﴾ ليس معناها القبول، وإنما فيها غضب وإهانة، وكل من رضي لنفسه موالاة الشيطان، وتركه يضع اللجام في فمه فجزاؤه جهنم.

هل تتصور طبيعة الحرب والمعركة...؟! سوف يبدأ إبليس هجومه بجنوده: الركبان والمشاة، وبصوته المثير للشهوات.

يأتيك صوت الإثارة الجنسية... ولد وبنت يتحدثان عبر الهاتف في خفية عن الأهل... انه ليس حديثهما... انه صوت الشيطان.

صوت المال الحرام ومشاركته فيه... صوت التبذير وضياع الكسب فيما لا يفيد أو فيما يضر.

صوت عدم قيام الأسرة على طاعة الله، فيشاركهم في الأولاد فينشؤون نشأة شيطانية.

صوت الشلة الذي يغطي على صوت النداء للصلاة... وكل هذه وغيرها أصوات لإبليس... فهل نجح معنا في هذا كله أو في بعضه... يقول رب العزة: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾ [سبأ: 20].

أنت السبب...

فهل نفيق لهذه المعركة... لقد ضيع إبليس الكثير من أجدادنا وأخرج أبانا الأول من الجنة... وجندك وقوتك أعظم وأقوى من إبليس وجنده... فهل تدور المعركة من طرف واحد وأنت غافل عن سلاحك... إذاً فأنت الذي تعينه على نفسك وتسمح له بغوايتك. يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50]. أنت الظالم لنفسك ببعدك عن الله... وأنت الأعلى بطاعة الله... وما حيلة الشياطين من الإنس والجن إذا كان الله معك؟!...

ان الجوارح من جندك الرباني اذا أطاعت ربها... عفة العين واللسان، المحافظة على الوضوء، عفة الأذن عن النميمة... وفوق هذا كله ان ابليس لم يؤت سلطاناً عليك.

. فليس له أن يناقشك في المعصية حتى يقنعك بصوابها.

. وليس له أن يجبرك عليها قسراً وبالقوة.

فقد قال الله له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: 42] فلا يملك معك الا مجرد الوسوسة والصوت الخفي... ولا

يعمل منك أبداً ما دمت على الاستقامة وأحوالك: طاعة وتوبة... يبدأ معك بالكبائر فإن لم يفلح فيُهوِّن عليك الصغائر أو يغريك بالإكثار من الحلال المباح حتى يلهيك به عن الطاعات... فلا تجد وقتاً لأداء الصلاة في المسجد، ثم لا تجد لها وقتاً في العمل والمنزل وينتهي بك الأمر الى ضياعها وما أسهل بقية الدين بعد ذلك... فإن لم يستطع بعملك على كراهية الآخرين واحتقارهم... والحقد والبغضاء يحلقان الدين فالنتيجة واحدة... فإن لم يستطع فبالجنس والشهوات أو يسلط عليك رفقاء السوء... لواء لا ينكسه أبداً وصدق رب العزة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168].. ومع ذلك أنت الأعلى مع الله وبطاعته... وأنت الأعلى اذا وقعت في معصية ثم ندمت عليها. فكيف تهلك ومعك كلمة النجاة... الاستغفار والتوبة، وبها نعّا أبوك آدم.

وخلقت حواء...

طُرِد إبليس من الجنة وانفرد بها آدم، فعاش فيها وحيداً فشعر بالوحشة، فخلق الله ﷻ حواء من ضلعه وهو نائم. فلما استيقظ وجدها بجواره، فسألها: من أنت؟! قالت: امرأة. قال: وما اسمك؟ قالت: حواء. قال: ولم خُلِقْتِ؟ قالت: لتسكن إليّ.

- فلماذا قالت امرأة؟ لأنها خلقت من المرء - الرجل -. فالمرأة جزء منه.

- ولماذا سميت حواء؟ لأنها خلقت من شيء حيّ - من ضلع الرجل -.

- ولماذا خلقت وهو نائم؟ يقول القرطبي: حتى لا يشعر بألم خلقها فيتغير قلبه عليها عندما يتذكر الألم. فيظل في قلبه الحب لها ويشعر بالحنان نحوها.

ونلاحظ أن المرأة حينما تحمل وتلد تشعر بآلام مضاعفة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14] ومع ذلك حبها لأولادها لا يوصف، وذلك لأن العاطفة عندها غالبة فقد بُنيت عليها.

وما معنى السكن؟ إنها كلمة تدل على الطمأنينة والأمن والاستقرار، فالرجل من دون المرأة ضائع غير مستقر. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

أيتها الزوجة المسلمة، أنت من آيات الله أتقدرين هذا المعنى؟ أنت مُستقر المودة والرحمة والسكن... فهل تقومين بهذا؟

كان من الممكن أن يخلق الله آدم وحواء في آن واحد... ولكن تركه يعيش وحده فترة من الزمن حتى شعر بالوحشة... شعر بها وهو في الجنة حتى خلقت حواء وأزالت وحشته... فلا ينسى الرجل هذا المعنى وتلك الحكمة من خلقها بعد أن أحس بالأمن معها... وكان الجنة بما فيها لم توفر هذا الشعور فنهضت به حواء... فهل يعي الأزواج والزوجات ذلك.

العرض قبل الطلب...

لا يصح بحال أن تراعي المرأة هندامها عندما تريد الخروج ولا تهتم بمثل هذا الاهتمام في بيتها ومع زوجها، تجلس معه على أي شكل وفي أي حال. فمثل هذا لا يجوز.

تستطيع الزوجة المسلمة أن تجعل البيت سكناً بإشاعة الهدوء فيه ورعاية الأولاد لتهيئة الجو للزوج... فيأتي وعلى وجهك ابتسامة رقيقة مع حسن الهندام... انتبهي لهذه الصفة جيداً، فأنت سكن له... ربما يزعجك من زوجك الجلوس مع الجرائد داخل البيت ومع الأصدقاء خارج البيت... قد يزعجك هذا وتطلبين منه بعض وقته معكِ، وهذا حقك... ولكن قبل المطالبة بالحق هل أدّيت ما عليك من واجب؟

ليت الزوجة المسلمة تتعلم من السيدة خديجة ﵂ التي كانت نعم السكن لرسول الله ﷺ فاستحقت عند موتها أن ينزل جبريل ليقول للنبي عليه الصلاة والسلام: أقرىء خديجة من الله السلام، وقل لها: إن الله يبشرك بقصرٍ من قصب في الجنة لا صخب فيه ولا نصب[1].

ان القانون الذي تستقر به حياة الإنسان مكون من كلمتين: حقي، واجبي، وعندما يقيم الإنسان حياته على نصف هذا القانون حقي فقط لا يستقر به المقام ولا يهد السكن... فعلى كل من الزوج والزوجة أداء الواجب قبل طلب الحق.

كيف وهي جزء منك...؟!

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6223).

﴿زَوْجَهَا﴾. فخلقت حواء من جزء من آدم وكان من الممكن أن تخلق بمعزل عنه... وذلك ليشعر الرجل أنها قطعة منه لا يظلمها ولا يقسو عليها. يقول النبي ﷺ: «**النساء شقائق الرجال**»[1]. وآخر وصية للنبي عليه الصلاة والسلام قبل موته: «**استوصوا بالنساء خيراً**»[2].

والجمعيات التي تقوم تحت اسم «تحرير المرأة» مشكلاتها محلولة بقول الله ﷻ: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: 189، والأنعام: 98]. فكيف تقسو أو تتكبر عليها وهي بَعْض منك؟!

ملاحظة...

خلق سيدنا آدم من التراب، وخلقت حواء من ضلعه المحيط بالقلب. وهذه إشارة إلى الجهة التي سيتعامل معها كل واحد منهما.

- فالرجل يتعامل مع الأرض، فهو مزارع أو صانع أو تاجر أو مقاتل.

- المرأة سوف تتعامل مع الرجل كزوج ومع الأبناء كأم... وهذا يتطلب العطف والشفقة والرحمة والحب، وهي معانٍ قلبية... فسبحان الحكيم الذي قدر كل خلق ثم هداه لما يصلح أمره.

يا لسعادتك بهذا المعنى...

يقول النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت لتقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً**»[3]... وحواء خلقت من الضلع الأيسر لآدم وعوج هذا الضلع مطلوب ليحيط بالقلب ويحميه من الصدمات.

فعوج المرأة المشار إليه في الحديث ليس عوج السلوك ولكنه العوج المطلوب لأداء وظيفة هامة في حياة الرجل والأبناء وهو الجانب العاطفي الذي يغلب على تصرفاتها وحكمها على الأشياء... فليحذر الرجال من تقويم هذه العاطفة بالقسوة والقوة فتفقد المرأة الوظيفة التي تجد معها السكن.

---

(1) ذكره **العجلوني** في «كشف الخفا» (الحديث: 2/ 453).

(2) أخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 1851).

(3) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3331)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 3632)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 1851).

فليفهم الرجال من الحديث أن هذا العوج من المرأة أمر فطري له حكمة عظيمة ومطلوب لتفيض المرأة بحنانها على بيتها لتصون قلب زوجها وأبنائها. . .

ولهذا أوصى الرسول الرجال بالنساء خيراً في أول الحديث وآخره حتى يرضيك بها كما هي ويحذر كسرها بالجفوة وسوء المعاملة.

ـ هناك رجال يعاملون زوجاتهم بعنف وقسوة حتى تموت عاطفتها نحوه في قلبها.

ـ وهناك نساء تصر على التعامل مع غيرها بعنف من غير أن يجبرها أحد على ذلك. . . تحب أن تسمع أنها بعشرة رجال. . . تحب أن زوجها على الهامش وهي صاحبة الرأي والكلمة. . . فتذهب عاطفتها وتقاسي الدنيا منها.

إياك أن تفسدي بيتكِ بهذا. . . وحافظي على عوجك العاطفي الجميل الذي يمنح السكن والمودة والرحمة.

اتعرف أيها الزوج أن أجمل ما في المرأة قلة عقلها وزيادة عاطفتها. ولو كانت هادئة العاطفة وكاملة العقل لشعرت أنك تعاشر رجلاً في البيت وكأنك تقيم فيه مع صديق لك لا مع امرأة تفيض بالحب والحنان... فاستمتع بها كما خلقها الله وكما أوصاك رسوله ﷺ.

فقالت: لا...!!

يذكر الإمام القرطبي معنى لطيفاً في خلق حواء وهو: قالت الملائكة لآدم: أتحبها يا آدم؟ فقال: نعم. فقالوا: أتحبينه يا حواء؟ فقالت: لا! يقول القرطبي: وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من الحب. ثم يعلق بقوله: لو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء. ولعل القرطبي رحمه الله كان يعاني من مشكلة. . .!!

ولعل الحياء منعها من ذكر حبها للملائكة... وأحياناً يكون التمنع عند الزوجة وحبس الكلمة في فمها أدل على التصريح بها من قولها أحياناً، الا أنها على كل حال لا تضن على أهل عشها من أن توسعهم حناناً بالنظرة والرحمة كذات الحناجين... فلا تستطيع أن تفرق بينهم من معاني الحب الا بالكبر والصغر والرجولة والأنوثة.

إنها الجنة...

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة طه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طـه: 116 ـ 119].

نحن الآن في الجنة التي تنتهي فيها معركة الشيطان معنا، بعد الشقاء في الدنيا أنت الآن في موطنك الأصلي وبلدك الحقيقي: الجنة، سكنك الأول.

ـ كل شيء فيها متاح وميسر... الثمار، والشراب. لا جوع ولا عطش لا حَرّ ولا نصب.

ـ وبها نعمة جليلة قد نغفل عنها وهي: ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾... لم يعرف الرجل والمرأة العُري لقد كساهما الله في الجنة منذ اللحظة الأولى... ولكن عرف العُرْي عندما خالف أمر الله... وكلما تقدمت حضارة وهي بعيدة عن الله كلما زاد العُرْي بين أهلها.

ـ لقد أنعم الله على آدم بسكن الجنة ولكن لم يدخلها وحده، بل أسكن الله معه زوجته حواء... وكل منا بحاجة إلى دخول الجنة ومعه زوجته... لذلك يجب أن نهتم بالمرأة فهي التي أزالت وحشة سيدنا آدم في الجنة.

ـ أسمع بعض الرجال يقول: إذا دخلْتُ الجنة تكون معي زوجتي ألا يكفيني حياتي معها في الدنيا...! وكأن الحب بينهما قد انتهى قبل انتهاء الدنيا. إياك أن تظن هذا فبيوت الطائعين يعمرها الحب في الدنيا وفي الجنة.

ولا شيء يهدد الحب والعاطفة بين الزوجين مثل حب الله وطاعته... اسمع سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ عندما رأى زوجته الزهراء تمشّط بالمشط فأخذ يلاطفها بكلمات رقيقة، وأخذ منها المشط وقال له:

هُنِّئْتَ يَا عُودَ الأَرَاكِ بِثَغْرِهَا ... مَا خِفْتَ مِنِّي يَا أَرَاكُ أَرَاكَا
لَوْ كَانَ غَيْرُكَ يَا أَرَاكُ قَتَلْتُهُ ... مَا فَازَ مِنِّي يَا سِوَاكُ سِوَاكَا

لماذا يلهم الشيطان أفراهنا من الهلال فلا تسمع الزوجة ما تسمعه المخطوبة... ويكون أصياناً خلع الضرس أهون من قول كلمة رقيقة تسمعها منك زوجتك... هيا نُسكت صوت الشيطان ونتعاون مع زوجاتنا على إيهاد المودة والرحمة.

لماذا الإصرار على الشجرة...؟!

هذه حيلة معروفة للشيطان... يجعل الإنسان يكره الحلال ويزين في عينيه الحرام ويرغبه فيه من المأكل والملبس والمال والجنس... إذا كان سيدنا آدم نسي وأكل من شجرة واحدة وتاب وانتهى الأمر... فأنت تأكل منها كل يوم... ألف شجرة يزينها لنا إبليس من الحرام ويكرّه إلينا الحلال.

- لا تشرب العصير... الخمر أفضل أو البيرة.

- لا تلاطف زوجتك... زميلتك في العمل أجمل.

وقد تكون هذه المرأة أقل من الزوجة جمالاً... ولكنه صوت الشيطان من الحرام ولجامه للفم من الحلال.

- أتعرف أن وجود زوجة طيبة من حلال تتمنى رضاك نعمة تستحق الشكر... هل تصدق على نفسك ظن إبليس: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17].

جاهد نفسك مرة وامتنع عن الحرام وبعدها ستجد حلاوة في قلبك لم تجدها من قبل... وجاهد نفسك مرة أخرى وعود لسانك ملاطفة زوجتك ستجد نفسك لا تستطيع الاستغناء عنها بغيرها. وعندها:

- يفرح ربك برجعتك.

- تفرح بك الملائكة.

- يُصان عرضك ومروءتك. فلم يعرف الإنسان العُرْي إلا بالمعصية.

وانت اختي المسلمة اياك ان تمكّني احداً منك الا بزواج صحيح... صانكِ ربك فصوني نفسك ان تكوني كلأً مباحاً بلمسة او قبلة فتذهب قيمتك.

بمجرد إشارة...

يقول ربنا تبارك وتعالى على لسان إبليس: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾[طه: 120]. فهل هي شجرة الخلد؟... لا ولكن الشيطان هو الذي سماها بهذا الاسم ليستدرج آدم إلى الأكل منها.

- يسمي الخمر مشروبات روحية.

- يسمي العُرْي موضة.

- يسمي الإلحاد حرية وإبداعاً.

- يسمي الزنى زواجاً عرفياً... إنها حرب عن طريق الألفاظ وتسمية الأشياء بغير اسمها.

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21].

وهذه هي المعصية الثانية: القسم كذباً. فلم يأكل آدم من الشجرة من أول الوسوسة بل قاوم مقاومة شديدة، فاضطر إبليس أن يقسم كذباً ليقنعه، يقول تبارك وتعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾. نهى ربنا سيدنا آدم عن الاقتراب من الشجرة... فقال له إبليس: اجلس تحتها من غير أكل، ولم يتخيل آدم وزوجته أن هناك من يقسم بالله كذباً وذلك لنقاء فطرتهما... وفي نهاية الأمر ذاقها سيدنا آدم وزوجته ولم يأكلا فغضب رب العزة وكان ما كان.

ونحن يضحك علينا ابليس من غير قسم. ما عليه الا أن يشير الى المعصية ونحن نلبي.

- لا يقول اشرب خمراً، ولكن... صاحب فلاناً وفلاناً واجلس معهم... ويقع فيها في نهاية الأمر.

- تقول سأذهب مع الشلة ولن أشاركهم في المعصية... هل تتذكر أن الله نهى آدم عن الاقتراب من الشجرة... مجرد الاقتراب.

- وغضب رب العزة بمجرد أن ذاقا الشجرة فعرفا العُرْي بالمعصية لمرة واحدة... فكيف بمن يضع الذنوب على الذنوب... ولكن الباب مفتوح وينتظر رجعتك.

السؤال المنتظر...

سؤال ألمه يوجع... قال رب العزة: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]. فماذا تقول عندما يسألك؟ يا فلان، ألم أنهك وفعلت وفعلت... فما ردك عليه؟! روي أن الله يخاطب عبده العاصي يوم القيامة

بقوله: «عبدي استهونت بلقائي... أكنت تتجمل للناس وتأتيني بالقبيح؟! أكنت عليك هينا؟! ألم أكن رقيباً على عينيك وأنت تنظر بهما إلى الحرام؟ ألم أكن رقيباً على شفيتك وأنت تنطق بهما الحرام؟ ما غرك بي؟ عبدي اقرأ كتابك».

فما شعورك وقتها وأنت تمر على المعاصي والكبائر... كيف حالك عند قراءتها؟!

- هل تشك في هذا اليوم؟.... تقول: لا. صدقت.

- هل تؤمن به؟ تقول: نعم، صدقت.

يقول رب العزة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: 24] فمن علم أنه راجع فلا بد أن يعلم أنه موقوف. ومن علم أنه موقوف فلا بد أن يعلم أنه مسؤول ومن علم أنه مسؤول، فلا بد أن يحضّر للسؤال إجابته:

العمرُ ينقص والذنوب تزيد ... وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد ... رجل جوارحه عليه شهود

الهبوط

ميثاق العداوة لدى الشيطان...!!

نريد أن نرسخ عداوة الشيطان في نفوسنا كما رسخت في نفسه عداوته لنا إلى يوم القيامة عبر الأجيال المتعاقبة. . .فاعرف ميثاقه لتهيىء له في نفسك من العداوة ما يليق به.

يقول تبارك وتعالى في سورة الإسراء على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: 62 ـ 64].

وفي سورة النساء يقول إبليس: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: 118 ـ 120].

وفي سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 16، 17].

أرأيت العداوة والهيش الذي أعده لك من أهلها: الخيول، والركبان، والمشاة، والأصوات... فماذا أعددت له في نفسك من عداوته وكراهيته؟!

وسائلنا لصد هذا العدوان...

لَسْتَ ضعيفا في حربك مع الشيطان، بل معك إحدى عشرة وسيلة كل واحدة منها تكفي لكسره.

1 ـ الاستعاذة: أكثر من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

2 ـ ذكر الله تبارك وتعالى بأي صورة. فهو الوسواس الخناس، أي الذي إذا وقعت الغفلة وسوس، وإذا ذكر الله خنس... قراءة المعوذتين تطرد الشيطان، وآية الكرسي من قرأها حفظه الله في ليلته، وسورة البقرة لا تقرأ في بيت إلا وطرد منه الشيطان ثلاثة أيام...

فإذا كان إبليس قد أعد لك أسلحته فإن معك من الأسلحة ما يهزمه ويطرده ويحميك منه بل يحرقه... قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت حرزاً من الشيطان سائر اليوم**»[1]. فلا يقربك طوال النهار. فإن قلتها مساءً أحرزتك منه طوال الليل. فأنت في حصن من الشيطان ولو اقترب منك احترق طوال أربع وعشرين ساعة.

مثل هذه الوصايا إن لم نبادر بالعمل بها فسوق نتأثر بها في المرة الأولى والثانية، وبعد ذلك لن تؤثر فينا؛ لأننا أهملنا تطبيقها. نسمع عن الذكر ولا نذكر، ونسمع عن بر الوالدين ونعقهما. فإلى متى؟

3 ـ الوضوء: فالشيطان مخلوق من نار ولا يطفئها إلا الماء.

4 ـ غض البصر: النظرة المحرمة سهم مسموم من سهام إبليس، وغض البصر يكسر هذا السهم فيبطل مفعوله في قلبك، فيقوى إيمانك بعد أن حاولت السهام إضعافه.

5 ـ ترك صحبة السوء: وتصاحب أهل الدين؛ لأن الشيطان ذئب الإنسان، والذئب يأكل من الغنم القاصية ـ أي الوحيدة المنفردة بعيداً.

6 ـ الصلاة: فعندما يسجد المسلم يتنحى الشيطان جانباً وهو يبكي ويقول: أُمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرْتُ بالسجود فعصيت ولي النار.

7 ـ التوبة: فقد قال إبليس لله: وعزتك وجلالك لأغوينهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال رب العزة له: وعزتي وجلالي لأستغفرن لهم ما داموا يستغفرون لي.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3293)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6783)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3486)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3798)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 302).

عرفت فالزم... ولا تعِنْ الشيطان على نفسك فتلقي له سلاحك وتُسلمه قيادك، وهذا ظلم فادح لنفسك... «بئس للظالمين بدلاً» أي عاقل يترك جوار ربه حيث السعادة والنعيم في الأولى والآخرة... الى جوار الشيطان حيث الشقاء بالمعصية والاكتواء بنارها يوم القيامة. لو راودت حيواناً عن نفسه لتلقي به من مكان مرتفع لتأبّى عليك وقاومك ولا عقل له، ولكنه يدرك بطبعه أن الهلاك في طاعتك. فكيف بك يا مكرّماً بالعقل والتفكير؟! اتطيع من يسوقك الى جهنم وأنت راضٍ. ويقول رب العزة لأهلها يوم القيامة حاكياً لهم عن ابليس: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: 62]. *فاين عقلك؟!*

لفتة لطيفة...

اتصل بي شاب وأخبرني أنه أحصى ذكر إبليس في القرآن فوجده ذكر في أحد عشر موضعاً، وذُكرت الاستعاذة بالله منه إحدى عشرة مرة... وتأكدت من صحة العدد...

فإن تساوى العددان فلك من الله الفضل؛ لأنك تلجأ الى الذي كرمك، وطرده ولعنه ورجمه من أجلك ليحميك منه... فما حيلته معك في معركة تستعين عليه فيها بالله.

لا تنس...

عندما تذكر قصة آدم وحواء وإبليس أو أي قصة أخرى، فذلك لأخذ العظة والعبرة... ولا نخوض فيما لا طائل من ورائه. ولهذا هناك قاعدة أرجو أن نحفظها لتضبط سلوكنا في الحياة، وتقيم طريقة تفكيرنا، وتزن لنا ما نهتم به وما نتركه، وهي:

كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً.

والدليل على ذلك...

أن البعض يشغله أسئلة لا تهم المرء في شيء، ولا يترتب عليها تكليف أو عمل بخصوص موضوعنا، مثل:

- أيُّ الأشجار أكل منها آدم: التين أم العنب؟ والأمر يتساوى في الحالتين.

ـ الجنة التي سكنها آدم، هل هي جنة الخلد أم غيرها؟ وإن كان جمهور العلماء يرى: أنها جنة الخلد، إلا أن الأمر يضيّع الوقت ولا فائدة من ورائه.

ـ كيف دخل الشيطان الجنة؟ بكيفية يعلمها الله وحده.

أرجو ألا ننسى القاعدة السابقة فسوف تهون علينا الكثير من الأمور.

تُرى من المسؤول...؟!

أسكن الله آدم وحواء الجنة، ووسوس لهما الشيطان بكيفية يعلمها الله وحده، فأكلا من الشجرة... فمن منهما المسؤول عن هذه المعصية؟!

كل الديانات السابقة قالت: إن حواء هي التي أغوت آدم وزينت له الأكل من الشجرة... حتى حضارة الغرب التي تتشدّق بحماية المرأة. والإسلام هو الوحيد الذي برّأ حواء ولم ينسب إليها وحدها سبب الأكل من الشجرة.

اقرأ معي من سورة الأعراف لتعرف أنهما مسؤولان عن الذنب سوياً. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 19 ـ 23].

فأنت ترى من خلال صيغة المثنى في الآيات أنهما اشتركا في التكليف، وفي وسوسة الشيطان لهما، وفي الأكل من الشجرة ومن الاعتذار لله مما صنعا.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 120] إذن حواء بريئة ولكنها مشتركة معه. ولكن مسؤولية آدم أكبر؛ لأنه الرجل فكان توجيه العتاب من هذه الآية إليه.

فلا يطلب رجل المال من حرام ثم يدّعي أن زوجته هي التي تلح عليه

في هذا يقول النبي ﷺ: «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»[1]. وإن كانت شريكة له في الوزر لأنها حرَّضته عليه، إلا أنه سيحاسب عليه أولاً.

- وبالتالي لا يجوز للمرأة أن تضطر زوجها للجوء الى المال الحرام بكثرة طلباتها.

صَحِّحْ هذه الأخطاء...

تسربت إلينا بعض الأخطاء من الحضارات الأخرى والإسلام بريء منها، ولكن يرددها بعض أتباعه. منها:

- المرأة مسؤولة عن أي معصية في المجتمع، وهي سبب البلاء.

- النساء ناقصات عقل ودين... وهذا الخطأ سببه عدم فهم النصوص.

ولن أرد عليها الآن، ولكن أصحبك لتتعرف على بعض الحقائق:

- أول من سجد لله بعد رسول الله ﷺ امرأة. وأجمع أهل العلم أن أول من عَبَدَ الله بعد رسول الله هي السيدة خديجة ﵂.

- قال رسول الله ﷺ عن السيدة عائشة: «**خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء**» فلو كان نقص الدين والعقل بالمعنى المتبادر إلى الذهن لما صح أخذ نصف الدين عنها.

- ضرب الله المثل في القرآن بالمرأة: «امرأة فرعون» و«مريم ابنة عمران».

ليتنا نعي هذه المعاني لتعود ثقتنا في المرأة وتعود للمرأة ثقتها في نفسها. ونُوقن أن صلاح المجتمع بصلاح المرأة؛ لأن الرجل يعمل وهي تربي النشء على الطهر وطاعة الله. ويضر المجتمع طاقات نافعة اذا لم تفعل هذا.

فهمٌ وافق هوىً...!!

قد يحلو لبعض الرجال ذكر نقص المرأة للدين والعقل للتهوين من شأنها واحتقار رأيها. وقد يكون سبب هذا هوىً في النفس.

---

(1) أخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 19/ 136)، وفي «المعجم الصغير» (الحديث: 1/ 225).

أما التفسير الصحيح لنقص العقل والدين هو نقص الكم لا الكيف، فالمرأة يأتي عليها أيام لا تصلي ولا تصوم، فالنقص في العدد لا في القيمة. وقد تسبق بعض النساء الرجال في القيمة وعمق التدين لا في العدد. فهذا نقصها في دينها. أما في عقلها فذلك لغلبة العاطفة عليها لحكمة إلهية تستقر بها أمور الحياة مع الزوج والأولاد.

ركّز عليها لخطورتها...

أسكن الله آدم الجنة وأخبره أنه فيها لا يجوع ولا يعرى، لا يشعر بظمأ، ولا يشعر بالحرّ... ففهم إبليس أن الأكل من الشجرة يحرمه من هذه الأربع... ولكنه صبّ اهتمامه على واحدة منها: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: 20]. يركز الشيطان على كشف العورات ليقع المجتمع في كوارث من الجري وراء الشهوات والجنس والاغتصاب وشيوع الزنى العرفي تحت اسم الزواج... والبداية كانت نظرة بعد كشف عورة.

هل عرفتِ يا أختي المسلمة أهمية الحجاب.

خمسة من ستة...

إذا تابعنا الآيات التي ذكر فيها العري من قصة آدم وإبليس نجدها ذكرت خمس مرات في ست آيات... ألا يدل هذا على خطورة هذه القضية؟!

في الآية (22) من الأعراف لم يقل رب العزة جاعوا ـ مثلاً ـ وإنما قال: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾.

الآية (26) منها: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

الآية (20) منها: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾. والقرآن في نهاية كل قصة يذكر العبرة منها ومضمون الاستفادة ليتنا نتعامل معه بصورة أفضل... نغوص في معانيه ولا نكتفي بالنظرة السطحية. العبرة من هذه الآية: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: 26].

يعني: يا بني آدم إياكم من تعرية الظاهر أو الباطن...

أرأيت العبرة: غطاء وستر للجسد والروح بطاعة الله وتقواه.

حتى لا نبكي على اللبن المسكوب...

قد يقول البعض هناك محجبات أخلاقهن سيئة، وهناك مصلون يقعون في الخطأ، وهناك من يحج من أجل اللقب... فهل معنى هذا أن نترك الحجاب والصلاة والطاعات. فينتشر في المجتمع العُرْي والمعاكسات للفتيات والزنى العرفي، ولا يأمن أهل على ابنتهم من المجتمع.

نحن نريد غطاء الجسد ومعه غطاء الروح... كلاهما مطلوب ولا نفرط بأحدهما لخطأ يقع فيه البعض، وهذه صيانة لأنفسنا قبل صيانة المجتمع.

يقول رب العزة عن إبليس: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾. هل تحس بهذا اللفظ والدلائل الكامنة من صوته ونطقه وحركته ﴿يَنزِعُ﴾. والهدف هو كشف العورة.

- تلبس المايوه على الشاطىء.

- ترتدي استرتش داخل الجامعة.

وعندما يقع المحظور تبكي البنت ويبكي الأهل ويفرّ الجاني من التبعة والمسؤولية تماماً كما يتبرأ الشيطان من أتباعه يوم القيامة بقوله: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾.

إنها سوءة...

هل لاحظت أن كلمة العورة وكشفها سمي: (سوءة)، وهذا لأنها شيء يسيء للإنسان كشفه ورؤيته، سوءة تميت الحياء والمروءة والنخوة، وتقتل معاني الرجولة والأنوثة... فتضيع الثقة وتظهر الفواحش.

فهل يرضى واحد لنفسه فتح الإنترنت على موقع اباحي ليرى السوءة... ان هذه المناظر تلوثٌ الفطرة... ومع مضي الوقت يظن هذا الإنسان أن الدنيا كلها على غرار ما يرى ويشاهد فيضل.

وما منع اللّه شيئاً على الإنسان الا لمصلحته... فماذا نحن فاعلون؟!...

لقد نجح الشيطان ولكن...

لقد ركّز إبليس جهده مع آدم وحواء على نزع اللباس لكشف العورة ونجح معهما... وهو يمارس هذا مع كل الأجيال... فصنع مثل هذا مع عرب الجاهلية ونجح فكان الرجال والنساء يحجون البيت عُرايا.

ولذلك أول شيء فعله الرسول ﷺ بعد فتح مكة نادى ألا يطوف بالبيت عريان.

لقد أوهم إبليس العرب أنه لا يجوز لهم أن يطوفوا بالبيت في ملابس عصوا فيها ربهم؛ لأنه لن يقبل منهم، ومع أنهم أهل حياء تعرّوا حتى يقبل منهم في ظنهم.

واليوم في عصر التقدم يسلك إبليس نفس الطريق مع النساء، ولكن تحت اسم الحرية الشخصية ومواكبة الحضارة والموضة. ولكل بيئة ما يناسبها من مكر الشيطان.

وإن نجح الشيطان مع البعض الا أن هناك من هزموه وكسروه فاصبحوا من صفوة اللّه على خلقه وهم حاملو راية الرحمن. وسبق أن ذكرنا وسائلهم وقد اعترف لهم ابليس بالسبق فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

من نتائج معصية آدم...

المعصية الوحيدة لسيدنا آدم جرّت عليه أشياء، والمطلوب أن يفكر كل واحد في هذه النتائج حتى توقظه عند الوقوع في معصية.

1 ـ الفضيحة بظهور السوءة.

2 ـ الخروج من الجنة ومن مجاورة المولى تبارك وتعالى والهبوط إلى الأرض. ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

3 ـ التفرقة بينه وبين حواء عند نزولهما للأرض.

4 ـ سماه الله بالمعصية ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: 121].

5 ـ العتاب الشديد ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 22].

والصبيس: من حُبس قلبُه عن اللّه، والأسير: من أسره هواه وهل هناك أصعب من الطرد والإبعاد بعد الهوان الكريم والشقاء بعد النعيم، ولو لم يكن للمعصية شؤم الا هذا لكفى لصيانة النفس عنها.

لا تستهن بها...

لقد حدث كل هذا بمجرد أن ذاق آدم من الشجرة، وليس الأمر في صغر الذنب، ولكن في عظمة الآمر الناهي الذي أذنبت في حقه فخالفت أمره في لحظة غفلة. فتضع الحواجز بينك وبين ربك... فأزلها بتوبة ولا تستهن بالمعصية.

فإذا كان كل هذا قد حدث لآدم بذنب واحد... فكيف بمن يفعل الكثير والكثير. وليس هذا قنوطاً من عفو الله ولكنها دعوة الى عدم تهوين شأن المعصية.

فليحذر كل عاصٍ...

وللمعصية أمراض وبلايا نذكر بعضها علَّها تعيننا على عدم الاستهانة بها والوقوع فيها.

* **غضب الله ﷻ**: يقول تبارك وتعالى في القدسيات: «أنا الله لا إلٰه إلا أنا، إن أُطعت رضيت، وإن رضيت باركت، وبركتي ليس لها منتهى. وإن عُصيت غضبت، وإن غضبت لعنت، ولعنتي تصل إلى السابع من الولد» رواه الإمام أحمد.

* **يبغضك المؤمنون**: يقول الحسن البصري: ليحذر أحدكم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يعمل بمعصية الله فيلقي الله بغضه في قلوبهم.

* **حرمان العلم**: يقول الإمام الشافعي ﷺ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ... ونور الله لا يهدى لعاصي

* **حرمان الرزق**: يقول النبي ﷺ: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[1].

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 277).

* **الوحشة بينك وبين الله**: لا تستطيع أن ترفع يديك تدعوه من كثرة الذنوب.

* **الوحشة بينك وبين الناس**: ترى أثر معصيتك في سلوك الناس وتعاملهم معك.

* **ظلمة في الوجه**: يقول ابن عباس: إن للمعصية سواداً في الوجه وظلمة في القلب، وضعفاً في البدن، وضيقاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق.

تطرد الطاعات: فالسيئة تطلب أختها ولا تجد مجالاً للطاعة. فيهون العبد على ربه فيعصيه ولو عز على ربه لعصمه من المعصية ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: 18].

* **تكسب القلب الذل.**

* **تبديل النعم.**

* **ربط اللسان**: وذلك عند أمس الحاجة إليه. فعند الموت تجد أحدهم لا يستطيع أن ينطق بالشهادتين بسبب جبال المعاصي. حكى لي شاب أنه في أثناء سفره بالطائرة كان معه رجل أنيق في يده حقيبة. ثم جاءه ملك الموت والطائرة في السماء. فحاول الشاب تلقينه الشهادة فيمسك الرجل بالحقيبة، فيحاول الشاب تلقينه الشهادة مرة بعد مرة. فيقول الرجل: لا أستطيع مع أنه كان ينطق بالسؤال عن الحقيبة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 132] فلنمت على الإسلام حتى نضمن أن نموت عليه.

كيف تقاوم المعصية...؟

أفضل شيء أن تستعين بالله على طاعته. ولذلك علّمنا ربنا أن نقول في كل صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾.

- أول شيء الاستعانة بالله ودعاؤه وطلب العون منه على مقاومة المعاصي.

- مجاهدة النفس.

- دوام اليقظة للشيطان.

- البعد عن أصحاب السوء.

- الإكثار من الثناء على الله والإكثار من ذكره.
- قراءة القرآن.
- الصلاة في المسجد.
- حضور دروس العلم وسماع شرائطها.

حال أدى إلى توبة...

بعد أن وقع آدم وزوجته في المعصية أخذا يجريان في الجنة خجلاً، فناداهما الله تبارك وتعالى فيما يرويه الحاكم: «يا آدم أفراراً مني؟! قال: لا يا رب بل حياء». فهل نستحي نحن من الله إذا وقعنا في شيء لا يرضيه؟! يقول ابن القيم: فرحك بالذنب أشد عند الله من الذنب، وضحكك وأنت تذنب أشد عند الله من الذنب لقلة حيائك من الله، وحزنك على فوات الذنب أشد عند الله من الذنب، وحرصك على أن تستتر من الذنب وأنت تذنب أشد عند الله من الذنب، لعلمك أنه مطلع عليك.

سيّدنا آدم عنده حياء من الله وأراد أن يتوب. فماذا صنع!

مشى بين يدي الله تبارك وتعالى وقال: يا رب، ألم تخلقني بيدك. فقال الله: بلى يا آدم. قال: يا رب، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى يا آدم. قال: يا رب، ألم تسجد لي الملائكة؟ قال: بلى يا آدم. قال: يا رب، ألست أنت الذي قلت لي يرحمك ربك يوم عطست في الجنة؟ قال: بلى يا آدم، قال: يا رب، أليست رحمتك تسبق غضبك؟ قال: بلى يا آدم. قال: يا رب، أرأيت إن تبت أكنت مُرجعي إلى الجنة. قال: بلى يا آدم. قال: إذاً أتوب إليك يا رب». رواه الحاكم.

لم يعرف آدم كيف يتوب... نحن الآن نعرف كيف نتوب... بالاستغفار. ولكن آدم وهو أول البشر لم يكن يعرف ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: 2]. علّمه رب العزة أن يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]... قال له الله: يا آدم، قل كذا كذا وأنا أتوب عليك فقاله فتاب الله عليه.

عجيب منا أن نعرف الله ولا نحبه. ويتودد الينا بعطفه ورحمته ثم نذهب الى غيره. وهو الكريم الذي يعطي من غير أن يُسأل. فلماذا لا نتوب ولا نعود. اذا كنا

قد كرهنا المعصية لنتائجها ومصائبها... ألم نحب التوبة الآن... ان من طبيعة العبد الخطأ ومن طبيعة اللّه الرحمة. فليس البلاء في الذنب بقدر ما هو في تأخير التوبة منه.

وتطبيق أيضاً...

- هل من الممكن أن يتوب أحدنا الآن؟... نعم... بعد سنين من عقوق الوالدين وشرب الخمر أو المخدرات... نعم. إذا ندم على ما فات وعزم على التوبة. غفر له الآن من لحظة النية الصادقة.

- وهل إذا رجع إلى الذنب يتوب منه مرة أخرى؟... نعم وإن عاد إليه مرة بعد مرة... فلا شيء يحجزه عن التوبة.

- وهذه لم تكن تصلي ولم ترتدِ الحجاب ممكن أن تتوب؟ نعم، وتتبدل كل الذنوب إلى حسنات.

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله... أرأيت إن أذنبت ذنباً؟ قال: «**يكتب**». قال: أرأيت إن تبت! قال: «**يمحى**». قال: أرأيت إن عدت؟ قال: «**يكتب**» قال: أرأيت إن تبت؟ قال: «**يمحى**». قال: أرأيت إن عدت؟ قال: «**يكتب**». قال: أرأيت إن تبت؟ قال: «**يمحى**». فقال الرجل: وإلى متى يمحو ربنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يمل من المغفرة حتى تملوا من الاستغفار**». فهل فينا من يملّ من طلب العفو والمغفرة.

وإذا لم يرج العاصي عفو ربه فمن يرجو؟... وإذا ضاقت به الارض بما رحبت فإلى من يفر؟... وإذا لفظه الكون لذنوبه فمن يقبله؟... انه اللّه الذي وسعت رحمته كل شيء.

ما أحلى هذا المعنى...

والدليل على هذا أن آدم عندما استغفر ربَّه غفر له واصطفاه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴿١٢٢﴾﴾ [طـه: 121، 122]، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٣٣﴾﴾.

- وهل إذا تبت أنا عن الذنب يرفعني الله إلى مصاف الصالحين العابدين الطائعين؟...

نعم يجتبيك معهم وقد تسبقهم. فالطريق إلى الله سهل ميسور ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: 69].

لقد كان ذنباً واحداً...

لقد ظل آدم يبكي طويلاً على ذنبه. ومع ذلك يوم القيامة عندما تبحث البشرية عن شفيع لها من حر الموقف فتستنجد بسيدنا آدم لأنه أبو البشر يقولون له: ألا ترى ما نحن فيه اشفع لنا عند ربك. فماذا يقول: نفسي نفسي لقد أكلت من الشجرة.

سيدنا آدم يظل يذكر ذنبه حزيناً على الوقوع فيه، مع أنه ذنب واحد. ومنا من هو كثير الذنوب ولا يمثِّل الأمر عنده شيئاً... كالذي عنده سيارة قديمة ولا يحزن لأي تجريح في دهانها؛ لأنها قديمة ومثل هذا لا يؤثر فيها. ولكن عندما يستبدلها بسيارة جديدة يألم لأي أثر فيها ويعالجه من فوره.

وهكذا النفس المرصولة بربها لا يصبر صاحبها على الدنس يعلق بها، ويطهرها سريعاً لنقاء صفحتها بالتوبة أو بالحج المبرور.

أيها القلب عد إلى الله...

يقول ابن القيم: لسان الحال أن الله يقول لآدم: يا آدم، إنما ابتليتك بالذنب لأني أحب أن يظهر فيك فضلي عليك وجودي وكرمي بك. يا آدم، لو لم تذنبوا لذهبت بكم ثم أتيت بقوم يذنبون فيستغفرون فأغفر لهم، يا آدم، كنت تدخل عليّ دخول الملوك على الملوك قبل المعصية. أما الآن فسوف تدخل عليّ دخول العبيد على الملوك وهذا أحب إلينا. يا آدم، إذا عصمتك وعصمت بنيك من بعدك فعلى من أجود برحمتي وعلى من أجود بعفوي وعلى من أجود بمغفرتي، وعلى من أجود بتوبتي وأنا التواب الرحيم. يا آدم، لا تجزع من قولي لك، اخرج من الجنة فما خلقت الجنة إلا لك. ولكن اهبط إلى دار المجاهدة: الأرض. وابذر فيها بذور التقوى. حتى إذا اشتقت إليّ وأحببت العودة إليّ قبلتك وفتحت لك باب جنتي ورددتك إلى مقامك وجعلتك في جواري. يا آدم، ذنب تُذل به إلينا أحب إليّ من طاعة تَمُن بها علينا، يا آدم، أنين المذنبين أحب إليّ من تسبيح المرائين.

إن التوبة من أبرز معاني العبودية لله... ينكسر قلبك له وهو يعلم أنه ليس له ملجأ

سواه ولا يملك العفو إلا هو. يقول رب العزة لعبده النادم المسيء: «يا ابن آدم، إنك إذا ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[1].

فلماذا لا نُقبل عليه... هل لدينا من هو أكرم وأرحم وأبر وألطف...!! حاشا لله.

يقول العلماء: رُبَّ معصية أورثت ذلّاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً.

ان رب العزة يدعوك ويرجو رجعتك... وعنده الأجر الجزيل... مغفرة، حب، تبديل السيئات حسنات، فهل تجد أقل من هذا عند غيره؟

ما الفرق بينهما...؟!

كل من إبليس وآدم عصى ربه... فما الفرق بين معصيتهما؟... ولماذا تاب الله على آدم ولم يتب على إبليس.

ـ لأن إبليس أصر على المعصية ولم يطلب التوبة منها... احذر أن تكون من أصحابه.

ـ وآدم ندم وتاب... وهذا هو الفرق... التوبة.

ـ معصية إبليس معصية قلب... وسببها مرض الكبر الذي جعله يطلب العمر المديد لإضلال ذريته من بعده حتى يوم القيامة.

ـ معصية آدم معصية جارحة أي خطأ يخص أحد أعضاء الإنسان. ومعاصي القلوب أشد من معاصي الجوارح. قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[2]. ولذلك احذر الحقد والحسد وكل آفات القلب؛ لأنها تفسد على الإنسان دينه وآخرته.

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3540)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 5/ 127).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 147)، وأخرجه أبو **داود** في (الحديث: 4091)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 1998)، و(الحديث: 1999)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 59)، و(الحديث: 4173).

فكيف يتساوى عبد ندم وقال: يا رب أتوب... فكيف أتوب اليك علمني واقبلني... بعبد آخر يصر على المعصية ويتباهى بها ويحمل في قلبه الغل على الطائعين الصالحين. وكل انسان معافىً الا المصر المعاند كبراً على الطاعة وأهلها... كالرجل الذي يأكل بشماله فقال له النبي ﷺ: «كل بيمينك». فتكبر على طاعة النبي. وقال: لا أستطيع. فقال له النبي: «لا استطعت» فشلت يده[1].

استشعر هذا المعنى...

نزل آدم إلى الأرض ووضعت العداوة بينه وبين الشيطان. هل تتصور نزول آدم من السماء... ماذا كان شعوره...؟!

انتبه جيداً... لكل مسلم درجة في الجنة ولكنها درجات متفاوتة. يقول النبي ﷺ: **«ما بين الدرجتين في الجنة كما بين السماء والأرض»**[2]. فتصور ندمك إذا فاتتك درجة نالها غيرك. وتحاسب نفسك على ضياعها.

- ليتني صليت الفجر في اليوم الفلاني.
- لولا الذنب الفلاني لعلت درجتي.
- لو قرأت القرآن لبلغت أعلى عليين.

والحرف في القرآن بعشر حسنات. وقولنا: (بسم الله الرحمٰن الرحيم) تسعة عشر حرفاً يعني: (190) حسنة. وتلاوة الجزء تساوي (70,000) حرفاً يعني (700,000) حسنة، سبعمائة ألف حسنة في أقل من ساعة؟!!

أنت الآن في الدنيا والفرصة في يدك وطرح بنانك فاغتنمها الآن قبل ألا يكون هناك آن فما أشد ندم أهل الجنة على أوقات مرت بغير طاعة لما رأوا من الكرامة والسعادة.

وتم الهبوط...

أغلب العلماء يرى أن هبوط آدم كان في الهند عندما نزل، ونزلت حواء في جدة فأخذ

---

(1) أخرجه **الدارمي** في «سننه» (الحديث: 2/ 97)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 45).

(2) أخرجه **ابن أبي شيبة** في «مصنفه» (الحديث: 2/ 309).

كل واحد منهما يبحث عن الآخر حتى تقابلا على جبل عرفات الذي تعارفا عنده.

مقومات هذه الكلمة...

بدأت تنمو فيهم غريزة الجنس والتناسل، ولم تكن في الجنة... وبدأت حواء تلد في كل بطن ذكراً وأنثىٰ... وبدأت عمارة الأرض بالزراعة والصناعة. فلم يكن آدم عابداً فقط، بل كان ناجحاً في عمله بعمارة الأرض... وهكذا ينبغي أن يكون كل إنسان متدين.

فكيف نرضى لبلاد الإسلام ألا تكون في الصدارة... وآدم فهم المهمة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

أنت خليفة اللّه في أرضه... فهل تعي هذا المعنى... تقول هل أستطيع تغيير الكون... نعم فتلك وظيفتك... واللّه تعبدك بالعمل الصالح لا النتائج فلا تقلل من شأنك وقد عينك ربك خليفة.

الأقصى بداية ونهاية...

جاء في الأثر: أن آدم لما هبط إلى الأرض فرأى سعة الأرض، فقال: ألا من عابد ليسبح لك معي في هذه الأرض. قال الله تبارك وتعالى: سيكون من ولدك يا آدم وسيكون لي في أرضكم مساجد أُعبد فيها وأوصى الله تبارك وتعالى آدم أن يبني له بيتاً، فبنى البيت الحرام. يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ وسميت: ـ بكة ـ لكثرة البكاء فيها. ثم أمر الله الناس أن يحجوا إلى البيت الحرام. ثم أمره الله أن يبني المسجد الأقصى.

هل رأيت القضية التي كانت تشغل سيدنا آدم عند نزوله الأرض... قضية العبادة والتسبيح... ويسأل من يشاركه العبادة... فما الذي يشغلنا ونفكر فيه... ومع هذا التفكير عند سيدنا آدم نجح في خلافته وعمارته للأرض كما نجح في عبادته فهو نبي مصطفى.

سأل الصحابة النبي ﷺ: كم كان بين المسجد؟. فقال: «**أربعون سنة**»، فإذا كان أبونا آدم قد بني البيتين وبينهما أربعون سنة، فخاتم النبيين جمع له البيتان في آية واحدة فنزل عليه: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾.

فهل نشتاق لزيارة بيت الله الحرام. وهل نشتاق لتحرير الأقصى ونتألم لما أصابه... فما القيمة التي نكنها في أنفسنا لهذين البيتين ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: 32].

تعلم من أبيك...

لم يقدر إبليس أن يوقع آدم في معصية قط بعد نزوله الأرض... فلا يلدغ المؤمن من جُحر مرتين... فما بالنا نلدغ من الجحر الواحد في اليوم (20)، (30) مرة. وأيقن إبليس أن ليس لآدم سبيل مرة أخرى فتوعد ذريته... هيا نتعلم من أبينا هذه الرجولة.

شوق إلى الجنة...

روى ابن حبان أن آدم عاش حتى بلغ (940) سنة. وكان له الكثير من الأبناء، ونزل عليه (21) صحيفة... وفي نهاية عمره جمع أولاده وقال لهم كلمة جميلة، قال فيما يرويه الحاكم: «يا أولادي اشتقت إلى ثمار الجنة».

هل نشتاق نحن الى الجنة لنستريح من عناء الدنيا وشقائها... الم تتحرك النفوس الى دار الراحة والنعيم الأبدي. ان آدم عاش ما يقرب من عشرة قرون ولم ينس الجنة أبداً. لو عادينا الشيطان حق العداوة لطارت نفوسنا اليها.

ثم جاءت الملائكة وجاءه الموت فقبضوا روحه يوم الجمعة وغسلته الملائكة وكفنته ووضعوه في التراب ثم قالت الملائكة: يا بني آدم، هذه ستتكم بعد أبيكم آدم.

لهذا قلَّ الحب في البيوت...

مات آدم... ترى ماذا فَعَلْتِ يا حواء...!؟

لقد بكت عليه بكاءً كثيراً دام عاماً... لقد حزنت حزناً شديداً، فقد كانت تحبه... نعم كانت تحبه حباً جَماً...

آه على حالنا... آه منكِ أيتها الدنيا... ماذا فعلت بقلوبنا...!؟

لقد قلَّ الحب في بيوتنا؛ لأن الدنيا تملَّكتنا...

انظروا إلى الطائعين... إلى الصالحين...

فهذا عمر بن الخطاب ﷺ تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب فأحبها حباً شديداً وبادلته نفس الحب وأحبته حباً شديداً، ولكن العجيب من هذا الحب أن عمر بن الخطاب ﷺ مات يوم الأحد فماتت أم كلثوم يوم الاثنين...!! وهذا حبيبنا وقدوتنا... رسولنا محمد ﷺ بعد ثلاثة عشر عاماً اشتاق إلى زوجته الحبيبة، ثمرة فؤاده، خديجة ﷺ...!! يسمع صوت فيقول: هذا صوت استئذان خديجة...!! سبحان الله فالصوت كان صوت أختها انظروا إلى مدى الحب الذي كان يكنه الرسول ﷺ للسيدة خديجة.

لقد قلَّ الحب في البيوت؛ لأن النساء لم تعد سكناً للرجال؛ فكأن الهزاء من جنس العمل فلم يستوص الرجال بهن خيراً كما وصاهم رسول الله ﷺ حينما قال: «استوصوا بالنساء خيراً...»[1].

ولكن الفرصة ما زالت أمامكما... هيَّا.

ترى أيكما يبدأ بما عليه...؟ أعرف أنك تريد المبادرة هيَّا واجعلها في عينيك... فالأجر العاجل يستحق المبادرة وهو سكنك وراحتك وحماية قلبك... والأجر الآجل يستحق... إنها الجنة... فهل تشمران لها...؟

ترى في أي الجنبين أنت...!؟

ذكر النبي ﷺ أنه في رحلة المعراج رأى رجلاً ينظر عن يمينه فيرى سواداً عظيماً من الناس فيضحك، ثم ينظر عن شماله فيرى سواداً عظيماً من الناس فيبكي. فقال ﷺ: **«من هذا يا جبريل؟»** فقال: هذا أبوك آدم... ينظر عن يمينه فيرى أولاده الذين أطاعوا الله فكتبهم من أهل الجنة، وينظر عن شماله فيرى أبناءه الذين عصوا الله فيبكي؛ لأنهم من أهل النار...

لم يستفد هؤلاء من قصة ابيهم فابكوه... صدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه ونسوا عداوته لهم... فهل تحب ان تكون ممن أبكوه، ام تفضل ان تكون ممن اضحكوا اباهم بعداوة شيطانهم... فاختر لنفسك بصدق... انَّ حوار اهل الجنة لا يحتاج الا حباً لأهل الطاعة وكراهية للشيطان ومكره وصوته.

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

الله أكبر... الله أكبر

روى البخاري عن رسول الله ﷺ: **«أن الله ينادي يوم القيامة: يا آدم أخرج بعثاً إلى النار. فقال: وكم بعث النار يا رب؟ قال: من كل (1000) أخرج (999) إلى النار و(1) إلى الجنة»**... فبكى الصحابة. فقال النبي: **«لم تبكون؟»** فقالوا: يا رسول الله، وأين نذهب نحن؟ فقال ﷺ: **«من يأجوج ومأجوج والأمم السابقة (999) ومنكم واحد... وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»**، فتزلزل المسجد وقالوا: الله أكبر... فلما رأى النبي فرحتهم، قال: **«أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»**. فكبرنا. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: **«إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»**. فكبرنا: الله أكبر... الله أكبر.

هل شعرت بسعة رحمة الله... انها رهن من يطلبها... اطلبها بالمعاني التي تهديك اليها من الإحساس بعداوة الشيطان... وتكفيك له الطاعة والتوبة... اطلبها بحب النبي ﷺ... فالمرء يحشر مع من أحب... فما حيلة الشيطان معك وإلٰهك أكبر من كل كبير... ورحمته أسبق بك الى الجنة من ذنبك الى النار... هيا عرفت فالزم...

نبأ ابني آدم

لا تنخدع بالدنيا...!

أسأل سؤالاً: كم كان عدد السكان في هذا البلد منذ عشرين عاماً؟ كان في مصر ـ مثلاً ـ بضعاً وعشرين مليوناً. فإذا رجعنا بالزمان (100) سنة، كم كان تعدادهم وقتها؟ فإذا رجعنا عشرة قرون... وإذا امتد بنا الرجوع إلى عهد ابني آدم وكانا يمثلان ثلث البشرية على وجه الأرض كلها... فكم من القرون المتطاولة يصل بنا إليهم؟

ما أقصر الدنيا! وما أقصر القرون الطويلة! التي عبَّر عنها القرآن بقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 27]... كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية والصحابة معه منذ أكثر من (1400) سنة... ونحن نقرأها اليوم وغداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وكأنها نبأ عهد قريب: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾... في جملة صغيرة طويت مئات القرون.

لذلك لا تصلح الدنيا لأن تكون غاية للمسلم... فبالله عليك لا تنخدع بها فتراها أكبر من حجمها، وعلى غير حقيقتها.

انظر فيمن حولك من الناس... هل كان واحد منهم على وجه الأرض منذ (١٠٠) عام وهل سيوجد واحد منهم بعد (١٠٠) عام فما أسرع ما يتبدل وجه الأرض... وما أقرب الدنيا كلها من منازل الآخرة. وصدق الشاعر:

مَا أَسْرَعَ الأَيَّامَ فِي طَيِّنَا ... تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمَّ تَمْضِي بِنَا

القصة...

قبل استعراض القصة من آيات القرآن نوجزها في كلمات فنقول: كان يولد لآدم توأم، ذكر وأنثى، فولد له قابيل وأخت له، وبعده هابيل وأخت أخرى... وكانت شريعة آدم تقضي بأن الأخ لا يتزوج توأمته، بل توأمة أخيه الآخر، حتى يتم النسل ويبدأ نمو الجنس البشري.

فطمع قابيل في توأمته؛ لأنها أكثر جمالاً من أخت هابيل، فأمر آدم ابنيه أن يقدما قرباناً لله، والذي يقبل الله منه قربانه بأن تأكله النار فليختر من يتزوجها.

وكان قابيل مزارعاً فقدم قربانه من زرع رديء. وكان هابيل راعي غنم فقدم قربانه من أفضل ماشيته... فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وعزم على قتل أخيه وظل مصراً على ذلك حتى قتله في النهاية.

ان الإصرار على رفض أوامر الله يورد المهالك ولا يجني الإنسان منه غير الندم والخسران... فاي نعيم تشعر به معهما. ان هذا الموقف الذي تم بين الأخوين ربما استغرق أياماً قليلة... بعدها فرح الصالح بلقاء ربه، وأخذ المذنب بجريرته... فما نفعه؟ وبم خرج من الدنيا؟ وتطوى صفحة العمر... وتطوى الآيات طول الزمان وعرضه لنتعلم ولناخذ العظة والعبرة فتقول: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾.

أوافق ولكن...!

ما الذي أدّى إلى وقوع هذه الجريمة؟ هل الأمر أن قابيل قتل أخاه وينتهي؟ بالطبع لا، ولنبدأ في استخراج العبر والعظات... نسأل أولاً عن سبب هذا الجرم.

البعض يرى أن السبب هو المرأة... ولكن المرأة في شخصها ليست السبب، ولكن السبب هو الفتنة بها. فأخطر فتنة تواجه الرجال هي فتنة النساء، وأخطر فتنة تواجه النساء هي فتنة الرجال. يقول تبارك وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: 14 ـ 15]. ويقول النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[1] رواه البخاري. فذكرت الآية أن أول الشهوات المحببة للناس هي النساء، وذكر الحديث أنها أعظم الفتن ضرراً. ويقول النبي ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[2] رواه مسلم.

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 5096).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6883).

يا شباب... انها فتنة تشتت على المرء شمله وتجعل فقره بين عينيه، وتتفرق به بين الهموم، وهماً تؤدي الى ما لا يحمد عقباه «واتل عليهم نبأ ابني آدم». فهل نعتبر...؟

نقطتان كان عليهما التركيز...

لقد ركز إبليس جهده على قضية العُرْي ليخرج سيدنا آدم وزوجته من الجنة. يقول تبارك وتعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: 20]، ثم ركز على قضية أخرى وهي الفتنة بالنساء، يظل الشاب مشغولاً بالصور والشبهات والشهوات، ويتم له بذلك القضاء على الرجل والمرأة. يقول تبارك وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: 268].

أيهما تختار يا شباب؟! ضياع الدنيا بالفقر والآخرة بالفحشاء في جوار ابليس أم تختار ربح الدنيا والآخرة بالفضل والمغفرة مع الله... مسكين من يترك ربه. ان نبأ ابني آدم نذير يصرخ بنا، ان افيقوا قبل فوات الاوان. وكلمة خالدة تذكرنا بخطر الشبهات والمحرم من الشهوات.

أشكال فتنة النساء

أولاً: إياك من سهامه...!

يروى النبي ﷺ عن رب العزة أنه قال: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس**»[1]. نعم إنه سهم يصيب القلب فيضعف الإيمان... هل تتخيل ما الذي يفعله السهم؟ إنه يجرح... وقد يصيب في مقتل... إنه مسموم.

يخرج الشاب من بيته عازماً على طاعة ربه وبعد ساعتين يتغير عليه قلبه... لماذا؟ لأنه أطلق النظر هنا وهناك، فتتمكن منه الشهوة، وتعذبه لأنه لا يستطيع الوصول إليها، فيسخر منه الشيطان ويلعب به كالكرة في أقدام الصبيان.

ثانياً: وكلاهما شاشة...!

من أشكال الفتنة النظر إلى المواقع الإباحية على الإنترنت فتفعل به هذه الشاشة العارية

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 4/ 314).

الأفاعيل؛ لأنها أسرع فتنة في الوصول إلى القلب كسرعة السهم إلى كبد الفريسة. وكذلك النظر إلى القنوات الفضائية التي تقدم مثل هذا العُرْي الشيطاني. مِن الناس مَنْ يفعل هذا كل يوم. وهذه الفتنة جعلت قابيل يخالف الشرع، وانتهت مخالفته إلى القتل.

هل جربنا مرة مقاومة هذه النظرة... تقول: لن أنظر إلى هذه الفتاة... لن أطالع الفضائيات العارية والإنترنت الإباحي ثم تجاهد نفسك في التنفيذ. هل جربت مثل هذا؟ هيا يا شباب نجربه، فهو معنى من معاني الرجولة.

ثالثاً: آهٍ من الهاتف...!

ومنها الكلام الذي يدور بين الشباب والبنات في التليفونات... يتحدث الولد مع البنت حديثاً محرماً... ولو سمعها أبوها أو سمعه أبوه، لانهارت البنت خجلاً وخوفاً، ولتصاغر الولد ذُلاً لا يدري ماذا يفعل أو يقول. وإذا كان الولد والبنت مطمئنين لعدم سماع ولي أمرهما بفعلهما، فما بالهما بنظر الله إليهما وبسمع الله لهما. يقول تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: 14] ويقول: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46].

رابعاً: كاسيات عاريات...

قد تجد فتاة غير محجبة ولكنها محتشمة، وقد تتحجب بعد ذلك. ولكن أخطر الخطر في التي ترتدي ملابس ضيقة للغاية فتصف جسدها. فكأنها والعارية سواء، فهي كاسية عارية أو فتاة تغطي شيئاً وتترك أشياء. في شأن هؤلاء قال رسول الله ﷺ: «**نساء من أمتي لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن رائحتها لتشم من مسيرة خمسمائة عام**» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «**نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت**»[1] رواه مسلم.

خامساً: أخطاء تقع فيها...!

أنصح كل شاب وفتاة بينهما خطوبة أن يتّقيا الله ﷻ حتى يبارك لهما في زواجهما. لأنه في فترة الخطوبة تحدث معاصٍ كثيرة... ونسمع عن خطوبات كثيرة فسخت بسبب ما وقع

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 5547).

بينه وبينها من أشياء محرمة... فمن أراد إتمام هذه النعمة، نعمة الزواج، فليتق الله في بدايتها (فترة الخطوبة). فمن استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

سادساً: من علامات الساعة...!

يقول النبي ﷺ: «**رأيتني الليلة وقد أتاني آتيان، فقالا لي: انطلق معنا. فانطلقت معهما، فأتيا بي على تنور فيه أصوات** (فرن بداخله صراخ) **فطلعنا عليه فإذا فيه رجال ونساء عراة يأتيهم اللهب من أسفل منهم. فقلت، من هؤلاء؟ فقالا: هؤلاء الزناة والزواني**»[1].

فانتشار الزنى من أشكال الفتنة ومن علامات الساعة، والعقاب شديد، فاعزم على نفسك... لن أقع في مثل هذا... لن يغلبني إبليس بكيده الضعيف... ومن أصاب شيئاً من هذا فليتب ويستبدل عمله بالخير.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أخذت من امرأة قبلة فأشاح عنه النبي ﷺ بوجهه... فنزل قول الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114].

سابعاً: وحدث في عهد النبي...!

ومن أشكال الفتنة المعاكسات والتعرض للنساء في الطرق... وحدث مثل هذا في عهد النبي ﷺ، فجاء وفد يبايع النبي على الإسلام ومعهم شاب، وبينما هم في الطريق إذا بالشاب يجذب جارية من ثيابها، فوصل الوفد إلى النبي ﷺ فبايعهم واحداً واحداً حتى وصل إلى هذا الشاب فقبض النبي عليه الصلاة والسلام يده وقال: «**ألست صاحب الجبيذة؟**» فسكت، فقال النبي ﷺ: «**لا أبايعك**». فقال له الشاب: والله لا أفعلها بعد اليوم. فمد إليه النبي يده فبايعه[2].

هذا الرجل يا شباب خشي من غضب النبي وإعراضه عنه فنوى التوبة وعزم عليها وصدق فيها. وأخشى أن يكون فينا من لا يهمه غضب النبي منه يوم القيامة وإعراضه عنه بقوله: سحقاً سحقاً، أي: بُعداً بُعداً.

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 5/ 8) و(الحديث: 5/ 14).

(2) أخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 4/ 377).

ثامناً: كيف تقبلين...؟

من أشكال الفتن أن تقبل فتاة اقتراب رجل منها ويفعل معها من الحرام كذا وكذا أو فتاة يهون عليها لحمها فتعرضه لكل عين... أين الحياء؟ ذات يوم والإمام أحمد بن حنبل في طريقه فهبت ريح رفعت جلباب امرأة فظهر كعبها وبعض ساقها فرفع الإمام ثوبه على وجهه وقال: هذا زمان الفتن. فماذا لو بعث بيننا الآن...؟.

تاسعاً: خيانات زوجية...

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟ فقال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**». قال: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**». قال: ثم أي! قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[1]. فظهور الخيانات الزوجية من أشكال الفتن. وظهور ألوان الفتن يظهر مدى ما فعله بنا الشيطان منذ قابيل حتى اليوم.

وإليكم الحل

أولاً: غض البصر...

لا بد يا شباب من مقاومة فتنة النظر... إياكم أن يعتذر أحد بأنه غير متزوج... لا بد من المحاولة.

أعرف شاباً عزم قبل خروجه على مقاومة النظر المحرّم ومغالبة إبليس. وقال: أنظر كم مرة سأغلبه أو سيغلبني. وفي آخر اليوم وجد نتيجة الإحصاء (12) مرة غض بصره. و(10) مرات لم يغض بصره، فجلس يستغفر على المرات العشرة.

أذكركم يا شباب بحديث قدسي سابق وأتمه لكم: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها من مخافتي أبدلته بها إيماناً يجد حلاوته في قلبه**»[2].

جربوا يا شباب غض البصر أسبوعاً ستجدون حلاوته في قلوبكم لا محالة فقد وعدكم الله بذلك.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 4761)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 253)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 2310)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3182)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 4024)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 1/ 380).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

ثانياً: أغلق الأبواب...!

القلب مثل البيت له أبواب... فإذا ترك صاحب البيت النوافذ والأبواب مفتوحةً... سيأتيه منها اللصوص. فانظروا أبواب الفتن وأغلقوها تسلموا منها:

- إن كان صديقاً فاقطع علاقتك به.

- إن كانت صديقة فاقطعي علاقتك بها.

- من الإنترنت: اقطع صلتك بالمواقع الإباحية.

- من الهاتف: قم بتمزيق كل رقم يجلب عليك الفتنة.

هيا يا شباب نبدأ ونحاول حتى تطمئن نفوسنا بالخير وللخير، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: 69].

ثالثاً: الصوم...

يقول النبي ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[1] (أي حصن وحماية).

فإن خفتم المعاصي يا شباب فصوموا الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر. وإن أردتم مقاومة المعصية فأكثروا من الصوم. صوموا صيام داود، وهو أحب الصيام إلى الله. كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

الصوم يضيّق على الشيطان مجاريه في دماء الإنسان فقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» فهيا نضيق عليه بالجوع والعطش... فالصوم درع حصين.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 5065)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 3384)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 3384)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 2046)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 1081)، تعليقاً، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 2239)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 1845).

رابعاً: معرفة الثواب...

يقول النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ومنهم: «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله**»[1].

- فمن قطع علاقة محرمة فهو في ظل عرش الرحمٰن.
- ومن قطعت علاقة محرمة فهي في ظل عرش الرحمٰن.
- ومن عفَّ عن نظر محرم خوفاً من الله فهو في ظل عرش الرحمٰن.

من يرغب عن هذا الثواب..؟ تضيل فرصتك ورب العزة ينادي في الجنة: أين من أطاعوني بالغيب؟ فترفع يدك وتقول: أنا يا رب.

- مزّقت نوتة تليفوناتي... أنا يا رب تركت من المعاصي كذا وكذا... تفكروا يا شباب في جهنم الأجر وقدموا له الثمن.

خامساً: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم...

من أساليب الوقاية من فتنة النساء سرعة التوبة. فمن ندم على الذنب وعزم على تركه كمن لا ذنب له...

المهم ألا نؤجل التوبة. فنحن لا نملك أعمارنا. ورحمة اللّه واسعة... ما سعتها؟ يقول تبارك وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

سادساً: هناك من سبقك...!!

كلما تعرضت لك فتنة تذكر شاباً عزباً جميلاً غريباً في بلد بعيدة... دعته سيدته بعدما غلقت الأبواب وقالت له: إني لك. فقال: معاذ الله. إنه نبي الله يوسف.

- لا يخدعنك الشيطان بأن أحد أصحابك يفعل كذا وكذا من المعاصي فكن مثله.
- لا يخدعنكِ الشيطان بأن إحدى صديقاتك تعرفت على فلان وفلان وعليك أن تكوني مثلها.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 660)، و(الحديث: 6479)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 2377)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2391).

اقذفوا يا شباب في وجه ابليس بثلاث قذائف كلما زيّن لكم فتنة، ثلاث قذائف تصرفه وتقضي عليه، قذفه بها نبي اللّه يوسف: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]

هكذا يجب أن تكون...!

يروى أن رجلاً اسمه عبيد بن عبيد كان مشهوراً بالصلاح والتقوى... وكان في عهده امرأة شديدة الجمال، نظرت لنفسها في المرآة وقالت: من يقاوم هذا الجمال...؟ فقال لها زوجها: يقاوم هذا الجمال عبيد بن عبيد. فقالت له: أتأذن لي أن أفتنه؟ فقال: أذنت لك. فذهبت وقالت: أريد أن أسألك في مسألة، وظلت تعرض له وجهها وهو معرض عنها حتى طلبت منه صراحةً التعارف و... و... فقال لها: أسألك أسئلة، إن أجبت عليها بصدق أعطيتك ما تريدين. فقالت: سل ما شئت والله لأصدقنك. فقال لها:

- لو أتاكِ ملك الموت يأخذ روحك أيسرك أن يقبضك أثناء هذه المعصية؟ قالت: لا.

- قال: لو أن الناس يوم القيامة أخذوا كتابهم بأيمانهم. أيسرك أن تأخذي كتابك بشمالك بسبب معصيتي معكِ؟ قالت: لا.

- قال: لو مُدّ الصراط يوم القيامة بين ظهراني جهنم والناس يعبرون. أيسرك أن تسقطي في جهنم بسبب معصيتي معك. قالت: لا.

- قال: لو وقفت بين يدي الله يسألك عن هذه المعصية. أيسرك أنك فَعلْتها؟ فقالت: لا. فقال لها: أما يكفيك هذا؟ فقالت: نعم، والله لأتوبن إلى الله، فعادت عابدة خاشعة.

ان هذه الرجولة الشامخة في استعلاء الرجل على المعصية لم تعصمه فقط بل ردعت من جاءت لغوايته، واستعلى صلاحه على فسادها حتى اقتلعه من جذوره فصفت فطرتها وعادت لربها... وصدق الشاعر:

وَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالرِّجَالِ فَلَاحُ

من المسؤول...؟

نعود إلى أصل الفتنة ونسأل: من المسؤول عن جريمة القتل؟ قابيل أم أخته؟ ونطرح هذا السؤال لأن القصص الإسرائيلية تُحمّل أخت قابيل وزر هذا القتل كما حملت حواء

سبب الهبوط والخروج من الجنة. وهذا خطأ لأن القرآن نسب القتل إلى قابيل وحده.

فمتى تكون المرأة مسؤولة عن فتنة الرجل؟ عندما تحرك فيه دوافع الفتنة بالعُرْي وترك الحجاب والتعطر والخضوع في القول والتمايل في الخطى... ويخدعها الشيطان ويزين لها هذا حتى يعجب بها الرجال... فعند ذلك تشارك المرأة الرجل في الإثم.

ان اللحم الذي يشتريه صاحبه بثمن مرتفع لا يهون عليه فيرميه الا اذا تغيرت حالته فاصبح غير صالح للأكل، عندها يرميه مضحياً بثمنه، وعندها لا يقترب منه الناس فهو عندهم هين كما هان على صاحبه. ولكن يقترب منه ال...

. فهل ترضين لنفسكِ هذا؟ صانكِ اللّه.

. وهل ترضى لنفسكَ ذاك؟ عاناكَ اللّه.

وما العلاقة...؟

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 27] معنى الواو هنا أن الكلام بعدها مرتبط بما قبلها. والكلام قبلها حديث عن سيدنا موسى وهو يأمر قومه بدخول الأرض المقدسة فخافوا وجبنوا. فما العلاقة بين رفضهم وخوفهم وبين نبأ ابني آدم فجمع بين الخبرين بالواو؟ لأنهم خافوا وجبنوا عن القتل، وقابيل تهور فقتل. فبين الله أن الشيئين معصية: الجبن، والتهور. وكأن الله يأمرنا بالشجاعة من غير تهور.

معنى في غاية الأهمية...

ويقول تبارك وتعالى في نفس السورة على لسان سيدنا موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: 25] ترى فيها مدى حرص نبي الله موسى على أخيه، وقارن بين هذه الصورة والأخرى التي جاءت بعدها بآيات قليلة والتي قال فيها أخ لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

يا شباب... الأخوة نعمة من اللّه. من كان له اخ او اخت فليحافظ على هذه الأخوة من نزعات الشيطان... ومن كان له صالح تربطه به اخوة الإسلام فليتمسك به ويصون هذه الأخوة من نزعات الأهواء. يقول الشاعر:

يَمِيناً لَوْ يَمِينُكَ فِي يَمِينِي لَقَبَّلَتْ الدُّنْيَا لَنَا يَمِينَا

يقسم على أن الاتحاد والتعاون نملك بهما أمر دنيانا.

نتيجة الحسد...!

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: 25]. وهذه الكلمة: «لأقتلنك» تدل على تمكن الحسد والفتنة من قلب صاحبها (قابيل) فأدى به هذا إلى القتل. فكان الحسد أول معصية ارتكبت في الأرض.

تعالوا نعدد المعاصي التي وقعت قبله من بدايتها.

1 ـ الكبر.

2 ـ تحريض آدم وحواء على الأكل من الشجرة.

3 ـ الحلف كذباً.

4 ـ فتنة النساء.

5 ـ الحسد.

وسببها كلها أمراض قلبية يصاب بها من يفتن بنفسه أو بامرأة. ومعاصي القلوب أصعب وأشد من معاصي الجوارح.

إنه يأكل الحسنات...

الحسد والغل والحقد أمراض لها أعراض تظهر في أفعال الإنسان وتصرفاته.

ـ هذه تحسد أخرى بسبب زيجة طيبة مباركة.

ـ وهذا يحسد زميله بسبب ترقيته في العمل.

يقول النبي ﷺ: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[1] رواه أبو داود. ويقول: «**اثنان لا يجتمعان في قلب مسلم: إيمان، وحسد**». إنه

(1) أخرجه أبو داود في (الحديث: 4903).

لا يأكل ثواب العمل الصالح فقط... إنه يطرد الإيمان من القلب فيصبح المرء دمية في يد إبليس.

علاج الحسد...

البعض منا يمر بأزمات اجتماعية فيظن أن سببها الحسد ويريد العلاج منه وسنذكر العلاج في نقاط:

1 ـ قراءة المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

2 ـ أذكار وأدعية الصباح والمساء.

3 ـ تقوى الله واجتناب المعاصي. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فترك السيئات والمعاصي حماية من الحسد.

4 ـ حسن التوكل على الله. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: 107].

5 ـ الصدقة، فما يحفظ النعمة مثل الصدقة.

6 ـ الإحسان إلى من أساء إليك. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت: 34].

القبول مرتبط بها...!

أخذت النار قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وحقد على أخيه لشيء لا ذنب له فيه، وإنما الذنب كل الذنب عليه هو إذ لم يتَّق الله ويقبل شريعته، ولم يتَّق الله في حسن اختيار القربان، وذكر له أخوه ذلك: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

نريد يا شباب أن نكون من المتقين حتى يتقبل الله منا كما تقبل من هابيل، فما معنى التقوى لنكون من أهلها؟ معناها أن يجدك الله حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك.

ـ يجدك بين صفوف المصلين بعد النداء، يجدك قارئاً للقرآن، واصلاً للرحم.

ـ لا يجدك متعرضاً للفتن، رافعاً للصوت، عاقاً لأبويك، قاطعاً للرحم.

يستطيع أحدكم يا شباب أن يقول: غداً سأعرف مدى تقواي لله. سأذهب حيث أمرني ربي، ولن أذهب حيث نهاني. وفي الليل تجد النسبة 80٪ تقوى فتفرح؛ لأن الله يتقبل من المتقين، وماذا أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4].

بكى أحد التابعين الصالحين عند موته. فقيل له: تبكي وقد فعلت من الطاعات كذا وكذا؟! قال: أبكي لأن الله قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

نعم، القبول مرتبط بالتقوى، واللّه تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

«ما أنا بباسط يدي».

وقال هابيل لأخيه قابيل بعد ذلك: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: 28]. ويذكر ابن عباس أن هابيل كان أشد قوة من قابيل. ولكنه مع ذلك لم يشأ أن يقاوم أخاه أو أن يرد العدوان بمثله.

قال النبي ﷺ: **«من مات دون ماله فهو شهيد ومن مات دون أهله فهو شهيد»**[1]. فهل يعد تصرف هابيل تصرفاً سلبياً. بالطبع لا؛ لأن الوضع هنا مختلف، إن الذي يريد قتله هو أخوه وتربطه به صلة رحم قوية... وهو يفضل الموت عن قطع هذه الرحم، وكأن الآية تضرب لنا أروع وأصعب الأمثال من صلة الأرحام. كثير من الأرحام قطعت بسبب المال أو بغير سبب، والنبي ﷺ قال: **«لا تنزل الرحمة على قوم بينهم قاطع رحم»**. وقال: **«ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها وهذا ما فعله هابيل مع أخيه»**[2] وقال ﷺ: **«الرحم تتعلق بالصراط يوم القيامة وتقول: يا رب لا تجعله يمر حتى يؤدي إليّ حقي»**. ولعل هذا المعنى هو الذي جعل سيدنا عثمان يرفض القتال بين المسلمين حتى لا يقطع المسلمون أرحامهم فضحى بنفسه حفاظاً على وحدتهم.

---

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 359)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 4772)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 1421)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 4101)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 2580)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 1/ 79)، و (الحديث: 1/ 187).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 6486).

ترى... ما هذان الإثمان...؟

استطرد هابيل يقول لأخيه: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة: 29].

- **الأول**: إثم قتلي.

- **الثاني**: إثم رفض شريعة الله ونقض أحكامها.

واحذروا يا شباب... الذي يقع في معصية كأنه فعل اثنتين، المعصية الأولى وهي المخالفة، والثانية عدم قبول شرع الله. فاحذروا فإن الثانية أشد من الأولى.

إنها الفطرة...!

يقول تبارك وتعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: 30] هذه الكلمة ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ تدل أن الخير أصيل في النفس، ولكي يقلبه الإنسان إلى شرّ يحتاج إلى معاودة وتطويع حتى يتم له ذلك.

فلا يولد أحد عاصياً، ولا يولد أحد مجرماً، ولا يولد أحد شارب خمر، وإنما كل مولود يولد على الفطرة... والشر يطرأ عليها بعد تطويع حتى تصبح المعصية سهلة عليها. فاستطاع قابيل أن يقتل وهو ابن نبي وتربّى على يديه. والنفس قد تفعل معصية لا يتوقع صاحبها أن يفكر فيها منذ (20) سنة ـ مثلاً ـ ولكنها وقعت بعد تفكير ومعاودة وتطويع ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾.

جوارحك هي جنود الفطرة التي تهزم بها ابليس... وهي الأعوان التي تطوع النفس على الخير، والملائكة ترشدك الى الصواب وتؤيدك بالحق... ولا تترك المجال لإبليس الا اذا اطعته انت فجعلت جوارحك جنداً له هو... أليست نفسك غالية عندك؟! فكيف تعين عليها الشيطان يسلّمها الى جهنم.

ابن القيم يعرفك البداية...!

وتطويع النفس على الخير ومقاومة نداء المعصية يحتاج إلى أمر أشار إليه ابن القيم في كلمة لطيفة. قال: اعلم أن المعصية تبدأ بخاطرة فدافع الخواطر (قل ـ مثلاً ـ أعوذ بالله من

الشيطان الرجيم) فإنك إن لم تفعل صارت سهلة، فحاربها فإنك إن لم تفعل صارت همة وعزيمة فحاربها، فإنك إنْ لم تفعل صارت فعلاً فحاربه، فإنك إن لم تفعل صار عادة يصعب عليك تركها، ومحاربتها في مبتدئها أسهل من محاربتها إذا استحكمت.

احذروا يا شباب خطوات الشيطان هذه حتى لا تنتهي بنا إلى فعل قابيل الذي ظل يستسلم لهذه الخطوات حتى قتل أخاه.

علاقة قوية...

فكيف قتل قابيل أخاه؟ قيل: أخذ حجراً وضربه، وقيل: خنقه وهو نائم. والقرآن لم يذكر إلا أنه قتله، ولم يشر إلى طريقة القتل.

إنك تجد في بعض الصحف تعليقاً عن جريمة وعن تفاصيل وقوعها وربما تستلفت هذه التفاصيل البعض فتغريه بالقيام بمثلها ـ وعدم ذكر القرآن لطريقة القتل لون من ألوان التربية حتى لا يُغْرى أحد بمثلها، ولكن ركّز على أسباب الجريمة وعلى العقوبة وعلى نتائجها.

ولكن لماذا ربطت القصة فتنة النساء بالقتل؟ لأن بينهما علاقة قوية، ويتكرر ارتباط هذه الفتنة بالقتل يومياً. أحد تقارير منظمة الصحة العالمية يقول إن عدد حالات الإجهاض الجنائي في العالم سنة (76) كان (25) مليون جنين أُجهضوا في سنة واحدة. وأُعيد الإحصاء سنة (84) فوجوده وصل إلى (50) مليون جنين. تُرى... كم عدد الحالات اليوم؟!... من هنا يظهر ارتباط فتنة النساء بالقتل. فهذا الحمل السِّفاح بدايته فتنة انتهت بقتل ما نتج عنها بالإجهاض.

معنى في غاية الخطورة...!

يقول القرآن عن قابيل بعد جريمته ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ولتشعر بحجم الخسارة، يقول النبي ﷺ: «**لا تقتل نفس إلى يوم القيامة إلا كان على ابن آدم الأول إثم منها**»[1]. رواه البخاري، فكل قاتل إلى يوم القيامة يحمل قابيل من سيئاته... فما حجم هذا العذاب؟

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3335).

يعلمك النبي ﷺ أنه: «**من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[1].

- أول فتاة ارتدت «مايوه» فقلدتها الأخريات.

- أول شاب شرب «البنجو» أمام أصدقائه فقلدوه.

والتوبة تمحو الذنب... ولكن احذروا يا شباب أن تعلموا غيركم المعصية، فيزداد العاصي أثقالاً مع ثقله، وأوزاراً مع وزره... هل أدركت مدى الخسارة؟

تناسق القرآن...

يقول تبارك وتعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 31]. انتبه إلى أن الله بعث الغراب... فهو من جند الله وطائع لله، أمره ربه بالذهاب ليعلّم قابيل فاستجاب الغراب لرب العزة.

ولكن لماذا الغراب؟ ليتمم التناسق مع هذه الفعلة المنكرة، فالغراب أسود وهو أقبح الطيور شكلاً وصوتاً واسماً... وهنا ينتبه قابيل من غفلته ولكن بعد فوات الأوان.

نعم إنها سوءة...

فعندما رأى الغراب: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ [المائدة: 31]... لماذا السوءة ولم يقل الجثة؟ لتعرف أن السوءة هي أهم ما يجب ستره، فعدم ستر العورات يسبب كثيراً من الأمراض النفسية والفتن المهلكة.

إنه ندم عجز...!

والنتيجة ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾... فلماذا لم تقبل توبته بعد الندم على فعلته؟ لأنه لم يندم من أجل الله... ولم يندم ندم توبة... إنه ندم بسبب عجزه. كالذي يذهب إلى حفلة دفع فيها (150) جنيهاً - مثلاً - فلم تعجبه فندم على المال ولم يندم من أجل الله... ولو كان لله لكانت توبة. ولكنه لم يفعل ذلك.

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 361)، وأخرجه **البيهقي** في «السنن الكبرى» (الحديث: 4/ 176).

لقد قتل أخاه وحار بجثمانه الذي بدأ يتعفن وبدأت الحيوانات تقترب منه فجاء الغراب... وأظهر له عجزه... فندم لضعفه وأحاطت به سيئته.

فاحذروا يا شباب الاستهانة بأمر اللّه... وخطوات الشيطان... واحذروا الفتن وأغلقوا عنكم أبوابها، وقد رأيتم أن العاصي أعجز من الغراب... وإذا ألمّت فتنة بأحدكم فلا نجاة منها الا بسرعة التوبة... وما دام في النفس عرق ينبض فالأمل واسع في رحمة اللّه.

obeikandl.com